الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعةمحمد بوضياف – المسيلة
كلية الحقوق و العلوم السياسية

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
Université Mohammed Boudiaf – M'sila
Faculté de Droit et des Sciences Politiques

Tél / Fax : + 213 35 54 05 05
BP,166,Ichbilia 28003,M'Sila - Algérie

الرقم: 165/ك ح.ع س/2020

المسيلة في: 03 نوفمبر 2020

مستخرج فردي من محضر مداولات المجلس العلمي للكلية

في يوم:2019/06/25 (**الخامس والعشرون من جوان ألفين و تسعة عشر**) اجتمع أعضاء المجلس العلمي للكلية في دورته العادية لمناقشة اعتماد المطبوعات.

و بناءا على التقارير الايجابية للخبراء :

د/ هوادف عبد الله (جامعة المسيلة).

د/ بوعيسي حسام الدين (جامعة المسيلة).

بخصوص مطبوعة الدكتور: ملاح سعيد/ قسم: **العلوم السياسية** / المعنونة بـ :"**الاتجاهات الجديدة في العلاقات الدولية**".

تم اعتماد المطبوعة المذكورة أعلاه والمصادقة عليها من طرف المجلس العلمي.

رئيس المجلس العلمي.

رئيس المجلس العلمي
الدكتور: لحلط فواز

PEOPLE'S DEMOCRATIC REPUBLIC OF ALGERIA
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION AND SCIENTIFIC RESEARCH
MOUHAMED BOUDIAF UNIVERSITY – M'SILA
LOCAL COMMISSION FOR ADMISTRATION DIGIZATION

N.: 315/ 2020

M'sila at : June 13, 2020

CERTIFICATE

THE DIRECTOR OF DIGITIZATION CERTIFIES THAT **DR MELLAH SAID** HAS POSTED A COURSE ENTITLED ' الاتجاهات الجديدة في العلاقات الدولية ' ON M'SILA UNIVERSITY MOODLE PLATFORM WITHIN THE UNIVERSITY YEAR 2019/ 2020.

DR. KAMELEDDINE HERAGUEMI
DIRECTOR OF DIGITIZATION

DELIVERED FOR USE AS PERMITTED BY LAW

جامعة محمد بوضياف -المسيلة-
كلية الحقوق والعلوم السياسية
قسم العلوم السياسية

الدكتور: ملاح السعيد

مطبوعة في مقياس الاتجاهات الجديدة في العلاقات الدولية
مقدمة لطلبة الماستر سنة اولى
تخصص علاقات دولية

2020/2018

المحتوى:

المحور الأول: العلاقات الدولية في ظل تطور تاريخ الأفكار السياسية:

- الخلفيات الفلسفية لنظرية العلاقات الدولية.
- التقاليد الفلسفية لنظريات العلاقات الدولية:

تصنيف *M whight* للتقاليد الفلسفية

تصنيف *David Boucher* للتقاليد الفلسفية:

المحور الثاني: التحليل الواقعي للسياسة الدولية.

المحور الثالث: الواقعية الجديدة في تحليل السياسة الدولية

أنطولوجيا الواقعية الجديدة في العلاقات الدولية

ايبستيمولوجيا الواقعية الجديدة في العلاقات الدولية

المحور الرابع: المقاربة الليبرالية في العلاقات الدولية

ميلادها في العلاقات الدولية

الأسس التحليلية للمقاربة الليبرالية

أنطولوجيا اللبرالية في العلاقات الدولية

ايبستيمولوجيا اللبرالية الكلاسيكية في العلاقات الدولية

الاتجاهات المختلفة لليبرالية في العلاقات الدولية

الليبرالية بعد الحرب الباردة

المحور الخامس: الليبرالية الجديدة في العلاقات الدولية

العناصر التحليلية الأساسية لليبيرالية الجديدة

ايبستيمولوجيا الليبرالية الجديدة في العلاقات الدولية:

أنطولوجية الليبيرالية الجديدة في العلاقات الدولية

المحور السادس: الاتجاه الماركسي في العلاقات الدولية.

المحور السابع: المقاربات النقدية والراديكالية في العلاقات الدولية:

- النظرية النقدية في العلاقات الدولية.
- المعرفة والتفسير: ما هي النظرية الجيدة حسب النظرية النقدية؟
- المشروع الما بعد حداثي في العلاقات الدولية

الخلفية التاريخية لما بعد الحداثة في العلاقات الدولية

ايبستيمولوجيا ما بع الحداثة في العلاقات الدولية

انطولوجيا ما بعد الحداثة في العلاقات الدولية

- النظرية النسوية في العلاقات الدولية

النسوية وتقويض أسس العلم الذكوري

الخلفية الفلسفية للنظرية النسوية في العلاقات الدولية

ايبستيمولوجيا النظرية النسوية في العلاقات الدولية

منهجية النظرية النسوية

التحليل النسوي في العلاقات الدولية

الجندر أساس المشروع النسوي في العلاقات الدولية

المحور الثامن: المشروع البنائي في العلاقات الدولية.

-العلاقات الدولية في ظل تطور تاريخ الأفكار السياسية:

الخلفيات الفلسفية لنظرية العلاقات الدولية:[1*]

يعود وصف دولي *international* إلى 1789 مع أعمال جيرمي بينتام ، ولكن هذا لا يعني عدم وجود فكر دولي قبل هذا التاريخ ولذلك قال *Russell* بأن: الفكر السياسي الدولي أقدم من الوحدات السياسية المستقلة.

والنظريات القائمة في حقل العلاقات الدولية تجد أصولها في الأدبيات الفكرية السياسية القديمة، وإذا كانت الفلسفة السياسية في تطور دائم ابتداءا من أفلاطون، فإن العلاقات الدولية في تطور دائم ابتداءا من *Thucydide* في كتابه "تاريخ الحرب البلوبونزية".

استبصار الفكر السياسي يمدنا باستنتاج عام وهو أن معظم المفكرين لم يخصصوا إلى فقرات لما هو دولي في كتاباتهم باستثناء فقهاء القانون الدولي مثل *Grotius* أو الآباء القساوسة مثل *Saint Pierre*.ويشرح "*martin wight*" غياب الفلسفة السياسية الدولية: في مقاله: «*why is there no international theory*» بـ:

تركيز الفلسفة السياسة على الدولة والسياسة الداخلية و الفكر السياسي اشتغل على ضرورة السلطة داخل المجتمع والخضوع لسلطة مركزية تحتكر الاكراه، أم النظام الذي تتحرك فيه الدول خارجيا فهو منتج فرعي للدول في حد ذاتها، ولذلك اعتبرت الفلسفة السياسية بان السياسة الدولية هي اختصاص فرعي وثانوي للدولة ذات السيادة.

---

*- تجدر الإشارة إلى انه تم الاعتماد على طريقة التهميش في وسط متن المحاضرات، وهذا لتناسبه مع طريقة تحضير الدروس لعدة سنوات .

[1]- voire: Dario Batistilla, **théories de relations internationale**.

عموما الفلسفة السياسية ركزت على تبرير فكرة "ضرورة السلطة السياسية" *L´obligation de l´autorité politique* وأسس المجتمع المدني.

التقاليد الفلسفية لنظريات العلاقات الدولية :

تصنيف *M whight* للتقاليد الفلسفية:[2]

التقليد الواقعي: *tradition Réaliste* ويسمى ايضا (التقليد الميكيافلي) ويظم:توكي ديديس، ميكيافلي، بودان، هوبز، هيوم، هيقل، وحسب هذا التقليد فالعلاقات الدولية هي مرادف "للفوضى الدولية" *internationale anarchy*، وفواعلها الدول ذات السيادة التي ترفض وجود أي سلطة فوقها وتنظم علاقاتها عن طريق الحرب.

التقليد العقلاني *tradition Rationaliste*: ويسمى ايضا (التقليد القروشي) ويظم قروشيوس، لوك، مونسيكيو، وأباء الدستور الأمريكي (بينتام، بيرك، ميل، ويلسن) وحسب هذا التقليد تتأسس العلاقات الدولية على "التبادل الدولي" بين الدول ذات السيادة.

التقليد الثوري: *tradition révolutionnaire*: يسمى (التقليد الكانطي) ويظم: كانط، روسو، والماركسين، وحسبه فالعلاقات الدولية هي عائلة من الأمم، وبالرغم من غياب السلطة العليا في النظام الدولي إلا أن الدول تتشكل ككل أخلاقي وثقافي يفرض عليها مجموعة من الالتزامات القيمة والنفيسة.

2- تم استعراض هذه التصنيفات في كتاب داريو باتسيستيلا ، نظريات العلاقات الدولية.

تصنيف *David Boucher* للتقاليد الفلسفية:

تقليد الواقعية التجريبية: يظم كل من توكي ديديس، ميكيافلي، هوبز، ويسقط هذا التقليد خصائص الفرد على خصائص الدولة، ويفسر سلوك الدولة بالبحث عن تعظيم المصلحة الوطنية.

تقليد النظام الأخلاقي العالمي: يظم شيشرون، سانت توماس الاكويني، كانط، لوك، فقهاء القانون الدولي، ويقول بوجود نظام أخلاقي مستقل عن الفواعل الإنسانية، وهذا النظام هو الذي يتحكم في السلوك الخارجي للدول.

تقليد المنطق التاريخي *Raison Historique*: ويظم روسو، بيرك، هيقل، مركس، وحسب هذا التقليد فان كل قانون للسلوك مرتبط بالسياق التاريخي وبالتطور، ويفسر السلوك الخارجي للدولة انطلاقا من مكانتها في التطور التاريخي وبتاريخ علاقتها مع بقية الدول.

وبعد الحرب العالمية الأولى وفي مدرسة wales: أسس *David Davies* للفصل الأول للسياسة الدولية.

التحليل الواقعي للسياسة الدولية:

منذ الحرب العالمية الثاني سيطرت الواقعية على تحليل السياسة الدولية، وبتعبير *Martin Wight*: "الجميع في الوقت الحالي يعتبر واقعيا"

De nos jours, nous sommes tous réalistes.

هذه الهيمنة مفسرة بغنى وتنوع الأدبيات الواقعية حسب روبيرت جيلبان، وكذلك بحكمة ومنطقية الواقعية حسب باري بوزان. وعموما يمكن تكثيف المفاهيم التحليلية الواقعية في عدة نقاط أساسية:(*Dario p115*)

- فوضوية البيئة التي تتحرك فيها العلاقات الدوليةّ، وهذه البيئة هي مرادف لحالة الحرب لغياب السلطة العليا التي تمنع العودة إلى العنف المسلح من طرف الفواعل الدولية.
- الفواعل الأساسية للسياسة الدولية هم مجموعات النزاع. ومنذ واستفاليا تكرس النموذج الدولتي الذي يتأسس على الدول ذات السيادة والمحددة إقليميا.
- الدولة الوطنية مجسدة في صناع القرار التنفيذيين، لذلك تعتبر الدول فواعل عقلانية تبحث عن تعظيم مصالحها الوطنية المعرفة بالقوة.
- توازن القوى هو الآلية الوحيدة للضبط داخل النظام الدولي، وهذا التوازن لا يهدف إلى تحقيق السلام وإنما إلى تحقيق الاستقرار داخل النظام الدولي.

ويتفرع على المبادئ الأساسية السابقة عدة مبادئ جزئية أهمها:

- شرعية العودة إلى الحرب في السياسات الخارجية للدول، وهذا الخيار لا يمكن الحكم عليه بالعودة إلى القواعد الأخلاقية التي تتحكم في سلوك الأفراد.
- المنظمات الدولية والوحدات غير الدولية لا يمكن اعتبارها فواعل مستقلة عن الدول لأنها لا يمكن أن تعمل بفعالية إلا تحت إشراف الدول.
- السياسة الخارجية تختلف عن السياسة الداخلية لذلك فالاعتماد على البيئة الداخلية والرأي العام قد يحول دون التأسيس لسلوك ديبلوماسي فعال وجيد. *(Dario P113)*
- القواعد القانونية والمؤسسات الدولية موجودة لخدمة مصالح الفواعل الأكثر قوة.

الخلفية التأسيسية للنموذج الواقعي:

يمكن العودة بخلفية النموذج الواقعي إلى اسهامات *Frederick Schumann* ومفكر الجيوبوليتيك *Nicolas Spykman*، وكذلك اسهامات *Max weber* والفيلسوف *Carl Schmitt*.

ولكن نجد في الأساس اسهامين أساس أثرا كثيرا في واقعية ما بعد الحرب العالمية الثانية وهما:

- اسهام المؤرخ البريطاني *Edward H Car* .

- اسهام رجل الدين البروتيستنتي الأمريكي *Reinhold Niebuhr*.

اسهام «*Car*» كان حول مفهوم القوة وانطلق من انتقاد الطروحات المعيارية لتوجه التعاون الدولي لفترة ما بين الحربين والذي أكدته المقاربة المثالية القائلة بوجود مصلحة مشتركة بين الدول.

وقدم معظم ارائه في كتابه *The twenty years crisis 1919-1939* أكد ادوارد كار بأن: "السياسة في معناها الدائم كانت دائما سياسية القوة".

ولكن اسهام ادوارد كار لا يجيب على أسئلة تحليلية قوية خاصة سؤال لماذا سياسات القوة، وهل القوة هدف، وسيلة أم سبب، وأهم سؤال هو: ما هو سبب تبني سياسات القوة؟" (Dario p116).

هل مصدر القوة هو الطبيعة الإنسانية؟

هل مصدرها هو البيئة الفوضوية الدولية؟

هل هي نتيجة بحث الدول عن أمنها؟

ولذلك جاء اسهام رولاند نيبور أكثر تفصيلا، بحيث يستمر في الاعتقاد بأن: السياسة محكوم عليها بأن تكون صراع من أجل القوة وهذا ما شرحه في كتابه"*moral man and immoral society*".

- عمل رولاند نيبور يجيب عن سؤال ما هو سبب تبني سياسة القوة؟، ويعتقد بأن التفسير تقدمه الطبيعة الإنسانية التي تتحكم فيها ثلاث رغبات أساسية:

- *Will to live* غريزة الحياة.
- *Will to power* غريزة القوة.
- *Will to domination* غريزة الهمية.

ونتيجة هذه الأصالة في الطرح اعتبر *George kenan* بأن *Niebuhor* هو أب الواقعية الأمريكية.

وبالرغم من ذلك فإن المجهود الأكثر أصالة كتوجه نظري تحليلي للعلاقات الدولية يكمن في الاسهام الأصيل للأستاذ هانس مورغانتو الذي يعتمد على:

كتاباتcarr التي انتقدت المثالية لفترة ما بين الحربين، وكتابات *Niebuhor* حول الطبيعة الإنسانية.

وبالاعتماد على كل هذه الأسس قدم هانس مورغنتو الشكل الكلاسيكي للنظرية الواقعية للعلاقات الدولية: في كتابه *Politics Among nations* ليكون بذلك أب النظرية الواقعية في شكلها العلمي.

حسب مورغنتو فإنه يجب دراسة الواقع كما هو وبالتالي:

الواقعية السياسية تعتقد بأن السياسة والمجتمع بشكل عام تتحكم فيها قوانين وضعية تجد أصولها في الطبيعة الإنسانية.

وهذه الطبيعة محكومة بعدة غرائز:

- غريزة الحياة.
- غريزة التكاثر.
- غريزة الهيمة.

سلوك الانسان يتأثر بطبيعتة الأنانية وبالندرة في الموارد، لذلك يتبنى سياسية القوة والرغبة في أن يصبح الجميع موضوعا لهيمنته (على أفكار وأفعال الآخرين).

وقد عبر عن ذلك بقوله :

"السياسة الدولية مثلها مثل أي سياسة هي سياسة قوة".

La politique internationale, comme tout politique est une lutte pour la puissance

والدول في سياستها الخارجية محكومة بنفس المحدد وبنفس طريقة الإدراك والتفكير وبنفس طريقة الفعل.

عموما الواقعية الكلاسيكية حبيسة الأنثروبولوجيا لأنها تربط سلوك الدولة بسلوك صناع القرار، وبهذا تهمل بشكل كبير دور البيئة الدولية في تفسير السلوك الخارجي للدول.

وأعمال " مورغانتو" ركزت على مجرد المقارنة بين السياسة الداخلية والسياسة الدولية، وتقر بأنها عملت على البحث عن القوة ولكن تقر باختلاف الشروط والأطراف المتحكمة في كلا السياستين (غياب السلطة التي تحتكر الاكراه في السياسة الدولية). ***(Dario P119.)***

الواقعية الجديدة في تحليل السياسة الدولية:

تعود الأعمال المؤسسة للواقعية إلى أعمال كينيث والتز الذي كان يعتقد بأن الواقعية الكلاسيكية هي مجرد فكر واقعي لم يرق إلى مستوى النظرية، وكتاباته المؤسسة تعود إلى سنة 1959 حينما كتب كتاب "الرجل، الدولة والحرب" وفي هذا الكتاب فسر الحروب بطبيعة وبنية النظام الدولي الذي تتحرك فيه الدول، بهذا يكون قد تجاوز التفسيرات المعتمدة على الطبيعة الإنسانية والفواعل الدولية.

ويقول فيه: بأنه توجد الحروب لأنه لا يوجد من يمنع حدوثها".

"La guerre existe parce que rien ne l'empêche"

ولكن التوجه النظري الصرف لكينيث والتز ظهر في كتابه عام 1979 الذي رافق النقد القوي الذي وجهته السلوكية والمقاربات العبر وطنية في الحوارات النظرية الثانية والثالثة داخل الحقل (*non stato-centrées*):

- السلوكيون شككوا في علمية الواقعية الكلاسيكية.
- العبر وطنيين *transnationalistes* والماركسيين أشاروا إلى وجود فواعل غير دولتيه مهمة تؤثر في العلاقات الدولية.

انطلاقا من هذه الانتقادات دافع *Waltz* عن استقلالية العلاقات الدولية عن العلوم الاجتماعية، وأقر بوجود الدول كفواعل وحيدة في النظام الدولي، وينطلق في تحليلاته من مقولة ان النظرية هي لوحة مشكلة عقليا لمجال نشاط محدد، بحيث تعزل مجال معين قبل أن تتعاطى معه عقليا، وهذا العزل هو الشرط الأساسي لتطوير نظرية قادرة على تفسير ما يحدث.

فإذا كان الاقتصاديون يعرفون الأسواق بالشركات فإن السياسة الدولية معرفة بالدول، فالدول هي الوحدات التي تحدد شكل التفاعلات داخل الأنساق الدولية، وهذا الاقتراب من نموذج المعرفة الاقتصادية أملته ضرورة ايبستيمولوجية، أي أن اعترافه بنقص علمية الواقعية الكلاسيكية جعله يستند إلى أكثر المعارف مصداقية في حقل العلوم الاجتماعية "وهي المعرفة الاقتصادية". (*Dario P126*).

يرفض *Waltz* ما يسميه "بالنظريات الاختزالية *Les théories réductionnistes* التي تفسر العلاقات الدولية بالاعتماد على مستوى تحليل الدولة (الطبيعة الإنسانية)، أو طبيعة شخصية صناع القرار، كما يرفض مستوى التحليل الثاني الذي يعتمد على المعطيات الخاصة للدولة (الموقع الجغرافي، النظام السياسي)، وحسب *Waltz* فإن هذين المستويين قد يساعدان في تفسير السلوك الخارجي للدولة ولا يمكنهما أن يفسرا السياسة الدولية في شكلها الكلي.

ويعتمد *Waltz* على مستوى تحليل النظام الدولي (المستوى الثالث *third images*) الذي تتحكم فيه ثلاث مبادئ أساسية: (*Dario p126*)

1-المبدأ الناظم *Le principe ordonnateur* :

يقول كينيث والتز بالاختلاف المطلق بين النظام السياسي الداخلي الذي يعتمد على مركز يحتكر الاكراه الشرعي، والنظام السياسي الدولي الذي يتميز بالفوضى المطلقة.

"النظم الداخلية مركزية وهيراركية، والنظم الدولية غير مركزة وفوضوية".

Les systèmes politique interne= Centralisés et hiérarchiques

Les systèmes internationales= décentralisé et anarchiques

لذلك فالمبادئ الضابطة للنظامين مختلفة تماما لان البيئة الداخلية مركزية وهرمية في حين أن البيئة الدولية لا مركزية وفوضوية.

Le principe de différenciation-2 :

لا يقر كينيث والتز بأي دور للنظام الداخلي الدولة في سلوكها الخارجي، ويبرر ذلك بأن النظام الدولي يؤدي بالدول إلى تبني نفس الأهداف والوظائف *like Units* ونتيجة الفوضى تصبح جميع الدول تبحث عن الأمن داخل النظام الدولي، وهذا ما عبر عنه بقوله: *(Dario P127)*

"داخل الفوضى، يصبح الأمن هو الضرورة القصوى

وكل دولة لا تعتمد إلى على نفسها لتحقيق ذلك *self help*

فالاعتماد على الذات هو قاعدة الفعل داخل بيئة فوضوية".

"وهو النظام الذي ينعدم فيه التعاون، ونتيجة بحث الجميع عن القوة يصبح الهدف هو التوازن مع القوى الأخرى وهو ضبط الاستقرار داخل النظام الدولي.

3- الدول تتشابه في الوظائف ولكن تختلف الوظائف حسب قدرات كل دولة، فالدول تتشابه في الوظائف ولكنها تختلف في قدرات أدائها وهذا ما دافع عنه والتز في كتابه سنة 1979.

أنطولوجيا الواقعية الجديدة في العلاقات الدولية:

- السياسة الدولية تختلف عن السياسة الخارجية وعن العلاقات الدولية.
- مستوى التحليل هو: النظام الدولي وليس الدولة.

- النظام الدولي ← المبدأ الضابط.
  ← مبدأ اختلافه عن النظام الداخلي.
  ← مبدأ تشابه الوظائف واختلاف القدرات.
- بنية النظام الدولي هي مرادف لحالة الفوضى = الفوضى.
- توازن القوى: هناك من يسميها بنظرية توازن القوى (*Kapstein*).
- نفي التعاون والاعتماد المتبادل: وهو ما كان موضوعا للنقاش يبين الواقعيين الجدد والليبراليين الجدد.

وحسب والتز فان التعاون الدولي يخفي "حقيقة وواقع السياسة الدولية.

- المصلحة الوطنية: ترفض الواقعية الجديدة التصور الواقعي الكلاسيكي للمصلحة الوطنية التي تربط سياسات الدول بالبحث المستمر عن تعظيم وزيادة القوة وحفظ البقاء، وحسب "والتز" فالدول تعمل على تحقيق "أمنها"، كما ان الواقعية الجديدة لا تربط سلوك الدولة بهدف وانما تعدد الأهداف حسب مقولة روبيرت جيلبان (القوة، البقاء، الأمن وأهداف أخرى).

ايبستيمولوجيا الواقعية الجديدة في العلاقات الدولية:

- تتبنى الواقعية الجديدة ايبستيمولوجيا وضعية.
- لذلك فهدف النظرية هو التفسير أكثر من الوصف والتنبؤ.
- ولا توجد نظرية صحيحة وأخرى خاطئة: وإنما تقاس النظرية باستعماليتها *son utilité*، لأنها مجرد بناء فكري *construction intellectuelle* يتم فيه اختيار أحداث وتفسيرها.

- النظريات مفيدة ليس لأنها تساعدنا على الفهم والتفسير وأحيانا التنبؤ ببعض الأحداث، ولكن لأنها تساعدنا على الإجابة على كيفية عمل نظام معين.

Comprendre comment un système fonctionne

- يجب البحث في النظرية عن قدراتها التفسيرية، وعن ما يقربنا فيها من الواقع، كذلك فالنظرية تتجاوز مجرد وصف الظواهر والأحداث لصالح تفسيرها، لذلك فالنظرية الجيدة عند كينيث والتز تقاس بنجاحها في التفسير وليس في التنبؤ.

المقاربة الليبرالية في العلاقات الدولية:

- مثلها مثل النظرية الواقعية رافقت الليبرالية أيضا ميلاد تخصص العلاقات الدولية وأسسها تعود إلى فترة ما بين الحربين تحت مسمى "المثالية" التي انتقدت بقوة التوجه الواقعي، لذلك يعتبرها طلبة العلاقات الدولية المقاربة العامة الثانية والأساسية للعلاقات الدولية بعد المنظور الواقعي، كما تعتبر الامتداد الفلسفي لليبرالية على المستوى الدولي حسب "ستانلي هوفمان".

ميلادها في العلاقات الدولية:

- تقليد فلسفي يعود إلى القرن السابع عشر، ولكن كتوجه نظري في العلاقات الدولية يعود إلى فترة ما بين الحربين: وقد انتقدت بقوة من طرف الواقعيين الكلاسيكيين.
- العودة الحقيقية كانت في 1970 مع ظهور المقاربة العبر وطنية: *Transnationalisme*، وفي 1980 مع ميلاد نظرية السلام الديمقراطي،

وتأخذ عدة تسميات (المثالية، الطوباوية، العبر وطنية، التعددية) حسب *Ritchard little*.

الأسس التحليلية للمقاربة الليبرالية:[3]

عموما يركز الليبراليين على الوسيلة القانونية، وعلى الأفراد، الدول، التبادلات، الاتصالات، الأنظمة السياسة الديمقراطية، ولقد أسست التقاليد الفلسفية لليبرالية عدة مبادئ أساسية:

1- أسبقية القانون الدولي.

2- أسبقية المؤسسات ← حق اختيار الحاكم

← حماية حقوق الطبيعية للأفراد (الحياة، الحرية، الملكية...)

3- المنظمات الرأسمالية للاقتصاد.

4- المنهج العلمي (دافيد هيوم ، الاعتماد على العقل)

ويعدد داريو باتيستيلا ثلاث أسس أساسية :

- الحرية.
- الديمقراطية الليبرالية.
- أولوية القانون، وخاصة الحقوق الفردية.)

3- هناك عدة تصنيفات داخل كتب ومراجع نظريات العلاقات الدولية حول الاتجاه الليبرالي، وهذه التصنيفات لا تملك لمعايير محددة لذلك يختلط الأمر على طلبة العلاقات الدولية، ونتيجة لذلك اعتمدنا على معايير ثابتة قدمتها كتابات داريو باتيستيلا وخاصة كتابات الكس ماكلوود ودان اوميرا، وقد اعتمدوا معايير انطولوجية وابستيمولوجية ومعيارية ومنهجية للتمييز بين أهم اتجاهات النظرية الليبرالية.

أنطولوجيا الليبرالية في العلاقات الدولية:

ينطلق الليبراليون من أطروحة فوضوية النظام الدولي لكنهم يفضلون مصطلح المجتمع الدولي الذي يتكون من دول ذات سيادة تتصرف بعقلانية إلى درجة إمكانية ظهور انحرافات خطيرة مثل الحروب، ولكن لا يجب إغفال وجود طبيعة إنسانية تشترك فيها الإنسانية وهي ما تفرض خيارات عقلانية أخرى مثل: السلم والرفاه.

- أنطولوجيا ترتكز الليبرالية على الجماعة الإنسانية: *Communauté humaine* لذلك فحلول المشاكل القادمة من الفوضى تجد أصولها في هذه الجماعة والطبيعة المشتركة (الإنسانية جميعها تفضل السلم على الحرب).
- النظام الدولي مؤسس على القانون وعلى المبادئ الديمقراطية (أسبقية القانون، احترام حقوق الإنسان، المساواة أمام القانون) وكلها آليات سلمية لأنها تعكس إرادة الأمة.
- البشر يركزون على "الرفاهية" وعلى العيش الجيد، والتجارة هي من تحقق مثل هذه الطموحات، وهي من تؤدي إلى تضاؤل فرص الحرب لأنها تخلق روابط الاعتماد المتبادل بين الدول.
- الركيزة الثانية لليبرالية هي الفرد كأساس للعلاقات الدولية وبالرغم من كونه لا يمكن أن يمثل فاعلا في العلاقات الدولية إلا انه مهم في تشكيل الجماعات المؤثرة فيها التي تمثل مصالح الأفراد (الدول، المنظمات ...) والنقاش حول الفاعل سيتغير مع الليبراليين الجدد.
- الحركيات السياسية الداخلية تلعب دورا مهما خاصة في صناعة خيارات وأهداف الدول حسب طرح اندرو مورافيسك (*moravisk*).

ايبستيمولوجيا الليبرالية الكلاسيكية في العلاقات الدولية:

تنتمي الليبرالية إلى الفلسفات المتفائلة *Philosophie optimiste* لذلك نجدها:

⇐ ترتكز على مفهوم تطوري للتاريخ *Conception progressiste de l'histoire*.

⇐ أي أن الإنسانية لديها القدرة لفهم بيئتها ومحيطها عن طريق العقل والتعلم من الأخطاء.

⇐ والتطور موجه نحو مستقبل أفضل حسب طرح الأستاذ (*Puchala*).

⇐ وتزايد الديمقراطيات والمنظمات الدولية ونسب المبادلات سيكون بمثابة الأدوات التي تحقق السلام الدائم.

- بالرغم من أن الإنسانية والتطور قد يعرف حالات من الأزمات والتدهور إلا أنها تأخذ صفة المؤقتة والظرفية:

⇐ وهذا التمسك بالتطور انتهى بالحكم على أن مرحلة هيمنة الليبرالية هي مرادف لنهاية التاريخ (فوكوياما).

- هذا الاعتقاد يرتكز على كتابات لوك روسو التي تقدم تصورا متفائلا حول الطبيعة الإنسانية، وكذا الثقة في كون التطور العلمي والتكنولوجي سينتهي بتحسين الوجود الإنساني .
- الليبراليون التقليديين تمسكوا بايبستيمولوجيا عقلانية: أساس المعرفة مجموعة من المبادئ الإنسانية والعقلية الثابتة (مثلا المبادئ الثلاثة للسلم الدائم حسب كانط)
- أما الليبراليين الجدد فيعتمدون على ايبستيمولوجيا تجريبية *empiriste* مؤسسة على الملاحظة والتجربة، وتتبنى مشاريع بحث مستوحاة من

الوضعية، بمعنى رؤية موحدة حول العالم، والمجتمعات يمكن البحث في علاقتها السببية باستعمال المناهج العلمية المستعملة في العلوم الطبيعية.

- العقل وسيلة مهمة وحاسمة في الوصول إلى المعارف.

وآخر التوجهات الايبستيمولوجية لليبرالية تحاكي التوجه الواقعي. أين يصبح العقل وسيلة ذرائعية *instrumentale Raison* لإنتاج المعرفة ولا يأخذ الدلالة الايبستيمولوجية الخالصة لتوصيف العقلانية.

الاتجاهات المختلفة لليبرالية في العلاقات الدولية:

لا توجد نظرية ليبرالية واحدة وإنما هناك عدة توجهات نظرية كل منها يدافع على عامل تفسيري محدد:

التيار المؤسساتي: *le courant institutionnaliste*

يعود إلى الآباء المؤسسين لليبرالية أمثال جون لوك وجيريمي بينتام، ويقول بإمكانية المأسسة للسلوك الدولي للوحدات السياسية المختلفة، ويمكن الاعتماد ما بعد الحرب العالمية في ذلك على القانون الدولي ، وهو التيار الذي رافق فترة الأولى.

كما يقولون بإمكانية الاعتماد على بناء منظمات ومؤسسات دولية تملك القدرات الإكراهية لضبط السلوك الخارجي للوحدات الدولية، وهي الأفكار التي مهدت لظهور عصبة الأمم ثم هيئة الأمم فيما بعد.

الوظيفية والوظيفية الجديدة:

قدمت طروحات قوية لتفكيك بنية النزاعات في العلاقات الدولية من خلال الباحث الروماني البريطاني دافيد ميتراني برامج جديدة للسلم، وخاصة أطروحة

التي تدافع على أن نفي الحدود السياسية ودعم التوجهات التكاملية *D Mitrany* ستخلق جزر سلام في العلاقات الدولية من خلال:

- تفكيك المفاهيم النزاعية المؤسسة على الحدود.
- تراجع المضامين الكلاسيكية للسيادة.

التوجه الجمهوري: *Le républicanisme*

يجد أصوله في المقال المشهور والمؤسس لإيمانويل كانط، والذي يقول بأن الشكل الجمهوري سيكون الحل الفعال لمشكلة الحروب، لأن القرار سيعكس غالبية الشعب، والشعب حسبه ذو توجه عقلاني وسلمي، وأفكاره تعتبر مقدمة نظرية السلام الديموقراطي.

التيار السلامي التجاري: *Le pacifisme Commercial*:

هذا التوجه يجد أصوله عند الاقتصاديين الليبراليين الأوائل مثل آدم سميث، ، وحسبهم فإن التجارة وخاصة التبادل الحر بين الدول يمثلان سبيل الرفاه والسلم والسلم، وتبرير ذلك يعود إلى شارل مونتسكيو وامانويل كانط. اللذين يقولان بدور التجارة في بناء السلام.

فالتجارة تعظم مكاسب الدول وتؤدي إلى بناء عقلانية جديدة تحسب تكاليف الحرب، وهذا الطرح دعمه بقوة" نورمان انجل" الذي قال بعدم عقلانية الحروب (نوبل 1933) في عهد التطور الصناعي والتجاري، والدول تفضل أن تتاجر على أن تتحارب، لدرجة أن *"روزيكرانس"* قال بأن "دولة السوق حلت محل الدولة المحاربة".

L'état marchant Replacer L'état guerrier **(Dan O'Mera P98)**

تصر على ضرورة مأسسة هذه المبادلات (بناء منظمات تنظم *Hobson* وأعمال النشاطات التبادلية).

5- العبر الوطنية والاعتماد المتبادل المركب :

هذه التسمية تعود إلى أعمال جوزيف ناي الذي يسمي هذا التوجه بالليبرالية الاجتماعية، ولقد طورت أعمال الاتجاه الليبرالي وتعتبر أساس الليبيرالية الجديدة فيما بعد .يعتبر جوزيف ناي وروبرت كيوهان هما مؤسسي المقاربة العبر الوطنية، وينطلقون في تحليلاتهم من الطرح التالي:المجتمع الدولي ليس معرف بدول ذات مصالح متميزة، ولكنه مؤسس من مجموع العلاقات بين الأشخاص والأفكار، المنظمات والحدود الوطنية مخترقة من طرف تعدد المصالح الشخصية والجماعية، ولذلك فالمجتمع الدولي ليس دوليا وإنما عبر وطني".

هذه المقاربة مؤسسة على التفاؤل وقدرة الانسان على تهذيب الفوضى وتقليل نتائجها، وتشكك هذه المقاربة في معظم الجوانب الأنطولوجية للواقعية خاصة مقولة ان الدولة هي الفاعل الوحيد، وتشكك ايضا في عقلانية المصلحة .

وبعدها تطور مفهوم التبادل المركب كرد على الواقعيين نتيجة تزايد دور الأفراد، القوى عبر الوطنية والمنظمات الدولية وتزايد أهمية العوامل الاقتصادية (الشك في طروحات الواقعية). وخاصة في أطروحة ⟸وانهزام أمريكا في الفيتنام أن الحرب هي الوسيلة الشرعية في النزاعات.

تدافع على أن الاعتماد المتبادل ينتهي بتقليل استقلالية الدول، كما تتضاءل فعالية السياسات ذات الطابع الوطني الصرف في جميع المجالات، كما تتراجع أهمية القوة العسكرية للفصل في المشاكل القادمة من البيئة الاقتصادية.

ولذلك طور جوزيف *ناي* ما يسميه: القوة الناعمة: التي يقصد بها بأن الدولة تستعمل وسائل غير مادية لممارسة التأثير في السياسة الدولة عكس المنظور الواقعي الذي يستعمل العوامل المرادفة للقوة العسكرية.

الليبرالية بعد الحرب الباردة:

بعد الحرب الباردة حدث بعث للطروحات الليبرالية:

السلام الديمقراطي*La paix démocratique*:

بعد انتصار الليبرالية فتحت برامج البحوث مشاريع بحثية كبرى تعمل على فهم تأثير نوعية الأنظمة السياسية الداخلية على العلاقات ما بين الدول.

- الفرضية الأولى تقول أن الديمقراطيات لا تدخل في حرب مع بعضها إلا نادرا.
- الديمقراطيات تظهر أكثر عداء من الأنظمة الأخرى تجاه الأنظمة غير الديمقراطية وغير الليبرالية.

وحسب *"ديكسون"* فإنها أنظمة مسالمة فيما بينها وعدوانية تجاه الدول غير الديمقراطية، ووصل "جاك ليكسي" إلى حد القول بأن هذا الطرح أصبح بمثابة "قانون تجريبي" والسؤال الأساسي لهذه التوجه النظري هو: لماذا لا تدخل الديمقراطيات في حروب ضد بعضها؟.

- الإجابة القديمة تقدمها اعمال "كانط" حول السلام الدائم.
- أما حديثا فتجيبنا أعمال *Dixon*، *Russett*، *Hegre*، *Henderson*، *Doyle*.

التفسير الأول مرتبط بطبيعة البنى السياسية التي تحد من هوامش المناورة لصناع القرار حسب مايكل دويل وتزيد من مكانة المجتمع المدني.

التفسير الثاني: ويرتكز على أهمية القيم الليبيرالية العبر وطنية التي تتحكم في الدول وتؤدي إلى السلام فيما بين الدول.

الليبيرالية الجديدة في العلاقات الدولية :[4]

في البداية يجب التمييز بين الليبيرالية الجديدة في الاستعمال والليبيرالية الجديدة في العلاقات الدولية.كما يجب استيعاب أنها ترتكز على الإرث النظري الليبيرالي ولكنها تكيفت مع عدة معطيات أنطولوجية وايبستيمولوجية قادمة من الواقعية الجديدة ، وعادة ما يفضل طلبة العلاقات الدولية تسميتها بـ: النيولبيرالية المؤسساتية

وأغلب حوافزها النظرية هي محاولتها مجاراة الواقعية لدرجة أنها تقدم على أنها الأخت الصغرى للواقعية الجديدة *le demi-soeure de néoréalisme* حسب مقولات *Keahane* و *Martin*.

أحد مؤسسيها *R Keohone* الذي لا يقر بانتمائه إلى الليبيرالية الكلاسيكية بقدر ما يقترب من الواقعية أكثر.

- تاريخيا رافقت ظرفين:
  - ظرف تاريخي تزامن مع بداية انهيار القوة الأمريكية.
  - ظرف نظري تميز بهيمنة الواقعية والواقعية الجديدة على حقل العلاقات الدولية.

4- يعتبر كتاب دان اوميرا والكس ماكلاود من أكثر الكتب الأكاديمية توظيفا في تدريس نظريات العلاقات الدولية في مختلف الجامعات في العالم، لذلك ينصح به للطلبة في أسابيع القراءة للتحكم في المقياس.

Voire , Dan O'meara, théories des relations internationale.

- التأريخ لها يبدأ بنشر كتاب *After Hegemory* للأستاذ *R.keohane* ثم كتاب *Robert Axelood* «*the évolution of cooperation*» عام 1984 وهذه الأعمال كانت ردات فعل على كتاب *kenneth waltz* عام *theory of international politics*1979.
- أصالتها النظرية تعود إلى تركيزها على "دراسة الأنظمة" *les régimes* والتعاون الدولي والمؤسسات الدولية، وهدفها هو تقديم آليات للاستقرار كبديل للاستقرار بالهيمنة *Stabilité hégémonique*.
- حسب الليبراليين الجدد فإن نظرية الاستقرار بالهيمنة لا تفسر استمرار التعاون الدولي حتى بعد تراجع القوة الأمريكية، لذلك يدعو *Keahone* إلى ضرورة فتح النقاش حول إمكانيات التعاون في ظل غياب القوة المهيمنة التي تفرض الاستقرار.

وحسب الليبراليون الجدد فإن مصالح الدول الأنانية والعقلانية لا تمنع وجود مصالح مشتركة، واهم هذه المصطلح هو تأسيس مؤسسات وأنظمة دولية قادرة على الاستمرار حتى في غياب القوة المهيمنة الفارضة للاستقرار.

- أنظمة دولية تضمن التعاون حتى في ظل غياب القوى المهيمنة.

- تدافع النيوليبيرالية على: أهمية التنظيم الدولي لدرجة ظهور ما يسمى بنظرية النظم، خاصة مع أعمال *stephen Krasner* عام 1983 وقد قال بان (النظام الدولي هو مجموعة المبادئ والقواعد والعمليات القرارية التي تؤطر سلوكات الفواعل الدولية)، وحسب هذا الطرح فان النظم تمثل مصادر للنظام في بيئة دولية فوضوية.
- نظرية النظم تفترض بأن البيئة الدولية الفوضوية تجبر الدول على مأسسة علاقتها لتنظيم مصالحها المشتركة، وهي خيارات ناتجة عن

حسابات عقلانية للفواعل الدولتية العقلانية (فوائد التعاون أكبر من فوائد الاعتماد على الذات والمواجهة).

- الإطار المؤسساتي الذي تمنحه مختلف النظم الدولية يسمح للدول بتحقيق عدة أهداف:
  - تقليل تكاليف التفاعلات فيما بين الدول.
  - تشكيل مؤسسات تضمن التفاوض الدائم والمستمر.
  - ضمان تنقل المعلومات الجيدة (لبناء الثقة) والقرار.
  - تشجيع المبادلات المنتظمة بين الدول.
- وفي الأخير تنتهي عملية مأسسة العلاقات بتقليل هامش المناورة للدول ويجبرها على تكييف سلوكها مع القواعد والمبادئ الموجودة.(*O'meara P114*).

تبين التحليلات السابقة اقتراب الليبرالية الجديدة من الواقعية الجيدة، ولكنها بقيت وفية لليبرالية الكلاسيكية فيما يلي:

1- الوفاء للطابع التفاؤلي حول الطبيعة الإنسانية وإمكانية تهذيبها عن طريق التعلم، وعقلانية الإنسان ترتبط بتفضيله وسعيه للسلام حسب بوتشالا.

2- هذا التفاؤل يبين نظرتهم التطورية للتاريخ وليس النظرية الدائرية «vision cyclique»أو اللاتاريخية للواقعية، وحسب روبيرت كيوهان الدول تستفيد من التاريخ ومن الأخطاء لتتطور.

3- النيو ليبراليين يركزون على التنظيم الدولي والمبادلات كعوامل للاستقرار.

4- تبنيهم لمرونة الليبيرية في نظرتها للتحديات والفواعل في عمر الدولة .(O'meara P115)

- **العناصر التحليلية الأساسية لليبرالية الجديدة:**

- الهدف الأساسي هو بناء نظرية قادرة على الرد على الواقعية الجديدة.
- وذلك بمحاولة إبطال افتراضات الواقعية الجديدة.
- كما أنها أثارت النقاش معها على نفس الأسس الأنطولوجية الايبستيمولوجي للوصول إلى نتائج مختلفة.
- وحسبهم فإن الطبيعة الفوضوية للأنساق الدولية لا تنفي فرص التعاون الدولي وهذا ما أثبت تجريبيا، لدرجة أن الليبراليين الجدد يقولون بأن التعاون لا يكون فقط في ظل التنظيمات والمؤسسات الدولية وإنما قد يكون بين دول ذات مصالح متناقضة.

ايبستيمولوجيا الليبرالية الجديدة في العلاقات الدولية:

- ايبستيمولوجيا ومنهجيا لا تختلف عن الواقعية الجديدة بحيث تتبنى ايبستيمولوجيا ومنهجية وضعية تقوم على الإثبات أو التحليل الأمبريقي وصرامة الملاحظة الوضعية للظواهر الدولية، والهدف هو بناء نظرية علمية قابلة للاختبار التجريبي، والنيوليبراليين يقولون بإمكانية التفسير والتنبؤ بسلوك الوحدات الدولية.
- وحسب الليبراليين الجدد فإن كينيث والتز كان اختياريا *Selectif* في الأحداث والأفعال التي تثبت نظريته لذلك ابتعد عن روح التجريب، لذلك فالليبرالية الجديدة أجبرته على أن يكون أكثر تجريبية للوصول إلى تفسيرات ذات مصداقية للظاهرة الدولية.(*O'meara p116*).
- عموما الليبيرالية الجديدة كانت دائما حسب توصيف *Imre lakatos*:

"الليبرالية الجديدة أعادت تأكيد نواة برنامج البحث الواقعي، حددت المآخذ الكبرى التي وقع فيها الواقعيين، واقترحت نظرية جديدة لتجاوز هذه المآخذ ."

- الحوار الأساسي بين الواقعين الجدد والليبراليين الجدد كان دوما حول تفسير وقراءة المعطيات والبيانات التجريبية.

أنطولوجية الليبرالية الجديدة في العلاقات الدولية:

- الليبرالية الجديدة تصنف كنظرية نسقية وكلانية *holiste* ولكنها تصر على ضرورة فتح العلبة السياسية السوداء (نوعية النظام، نوعية الثقافة السياسية ونوعية النظام الاقتصادي) ، كما تعرف بخاصية التعلم والتطور نتيجة التاريخ.
- تتمسك الواقعية الجديدة بمقولة أن الفوضى في النظام الدولي هي سبب النزاعات، في حين أن الليبرالية الجديدة تعترف بإمكانية التعاون.
- حسب الليبراليين فإن التعاون محاط بإمكانية الغش لذلك تلجأ الدول إلى تطوير آليات للحد من حالة الشك (حلول مشتركة) ⟸ وهذا ما يؤدي إلى القضاء على السياسيات التنافسية التي يقع في جوهرها المأزق الأمني وسياسات الغش حسب ريتشارد ليتل.

ولذلك يسعى الليبراليون إلى الحد من:

- المأزق الأمني (السياسات التنافسية).
- سياسات الغش في العلاقات الدولية.

فالذي يمنع التعاون ليس بالضرورة الطبيعة الفوضوية للنظام الدولي وإنما المخاوف (الشكوك المحيطة بالدول وبالصور المشكلة عن البقية).

- حسب روبيرت كيوهان فإن الواقعيين الجدد يبالغون في تأثير بنية النظام الدولي على الدول لأنهم طبقوا بصفة خاطئة حالة "مأزق السجين " في نظرية اللعب *Dilemme du prisonnier*، بحيث يعتقدون بأن اللعبة تلعب مرة واحدة ولا تتكرر على عكس الليبراليين الذين يعتقدون بتكرار اللعبة لذلك تظهر الفرص والاحتمالات المتعددة، والفواعل يمكنها أن تتعلم من اللعب السابقة وتتكيف من استراتيجياتها، وتكرار اللعبة هو الذي يؤدي إلى تجنب الغش (لأن اللعب يتكرر)، فلعب نفس اللعبة بصفة متكررة يؤدي إلى بناء عوامل الثقة تدريجيا ، مثل (عدم توجيه ضربات مفاجئة لتفادي ضربات الانتقامية).

وهذه الثقة ستتأسس في المؤسسات الدولية لأنها تمكن الفواعل من المعلومات وتقلل من تكاليف التفاعل ;تخفف من حدة الشك والغموض الموجودة في النظام الدولي (*O'meara P117*).

- لذلك فأنطولوجيا تعتبر الليبرالية الجديدة مقاربة ترتكز على الدولة Stato-centré بالرغم من اعتمادها على المؤسسات الدولية كموضوع للتحليل، وهذا يعني أن المؤسسات الدولية ليست فواعل حقيقية حسب الليبراليين الجدد بقدر ما هي آليات لتأطير التبادلات المختلفة (هي وسائط تستعملها الدولة في البيئة الدولية).

وهذا ما يعني أيضا بأن الليبرالية الجديدة بدأت أنطولوجيا تبتعد عن الطرح التعددي في الفواعل لصالح مقاربة أكثر مركزية حول الدولة (احتكاكا بالواقعية لجديدة)، والليبرالية الجديدة تتمسك بمفاتيح قارة في التحليل تشبه مفاتيح الواقعية خاصة فيما يتعلق بالدولة، فالدولة فاعل عقلاني، مصلحي، أناني وتعمل على تنظيم مصالحها الوطنية، وهنا تبتعد أيضا عما يسميه *Keohane* بالليبرالية الطوباوية.

ولتفادي المبالغة في التوجه نحو الواقعية يقترح روبيرت كيوهان ما يسميه: بالعقلانية المحدودة *Bounded rationatiy* لأن النموذج العقلاني الصرف أصبح مستحيلا في ظل التعقيد الموجود في البيئة الدولية الحالية.

المقاربات النقدية والراديكالية : النقدية، النسوية، ما بعد الحداثة

1 – النظرية النقدية في العلاقات الدولية:

عرفت فترة ما بعد الثمانينات تراجع مصداقية التحليل الماركسي خاصة بعد سقوط الاتحاد السوفيتي ومعه العديد من الدول،

وتراجع العالم الثالث كوحدة متجانسة بعد اندلاع العديد من الحروب في دول المحيط(أثيوبيا، الصومال، العراق وإيران....).

كما أن الدول النامية التي استطاعت أن تتطور لم تكن الدول التي احدثت قطيعة مع المركز الرأسمالي وإنما الدول التي انخرطت في السوق الدولية الرأسمالية.

ابتداء من الثمانينات ظهرت الأسئلة الماقبل نظرية *métathéorique*، بمعنى مساءلة القدرات الإنسانية على الوصف الموضوعي والتحكم الفعال فيما هو موجود:

- هل المعرفة العلمية للواقع الاجتماعي ممكنة؟
- هل يمكننا أن نتكلم عن إمكانية الفهم والتفسير؟

- ما هي العلاقة بين المعرفة والممارسة؟
- ما هي العلاقة بين المعرفة والايدولوجيا؟
- ما هي العلاقة بين المعرفة والقيم؟
- هل المعرفة العلمية كانت ضحية للهيمنة؟ وخاصة الهيمنة الذكرية (أين كانت المرأة في حالة الطبيعة لهوبز).
- ما هي المصلحة/ الفائدة التي توجه البحث العلمي؟
- وهل توجد حقيقة علمية *vérité scientifique* ؟
- هل المفاهيم العلمية صحيحة عالميا أم مرتبطة بسياقات ثقافية واجتماعية معينة؟

هذه الأسئلة هي التي تطرح في الحوار الرابع للعلاقات الدولية، تستهدف القناعات العلمية التي أسستها الوضعية :

الوضعية تفترض :

- تجانس المناهج العلمية لدراسة الظاهرة الاجتماعية مع تجانس المناهج لدراسة المناهج الصيغية.

- التميز والاختلاف ما بين الواقع و القيم.

- وجود علاقات سببية في العالم الاجتماعي يمكن اكتشافها عن طريق البحث العلمي .

- و توفير إمكانية التحقق التجريبي من هذه العلاقات النسبية.

و هذه القناعات هي التي استهدفتها التوجهات الما بعد وضعية التي تقول بعدم موضوعية المعرفة العلمية، أي نفي الحياد الفلسفي والثقافي، وكذا نفي النقاء من

الشوائب السياسية و الممارساتية pratico-politique، وينطلق التوجه ما بعد وضعي من نفى إمكانية فصل الباحث عن موضوع البحث sujet/objet ، وكذا من نفي الاعتقاد بأن العالم هو مجموع معطيات موجودة تنتظر اكتشافها عن طريق المنهج العلمي، لذلك فالمعرفة العلمية محاطة بالمحاذير والقيود التي تفرضها بيئة الباحث (معطيات البيئة) و هو ما يسمى عند:

-*Wittgenstein* بلعبة اللغة *jeux de langage*

-*Kuhn* النموذج المعرفي *paradigme*

-*Bourdieu* الحقل العلمي*le champ scientifique*

-*Foucault* أنظمة المعرفة *les régimes de vérité*

Habermas الفائدة المعرفية *l'intérêt cognitif*

- و الحياد المعرفي *la neutralité axiologique* عند *weber*

-والحاجز الابستيمولوجي *obstacle épistémologique* حسب *Bachelard*

ولذلك فكل بحث يتأثر بما يلي:

1. بالمجال الشخصي، النفسي، السياسي، الاجتماعي، التاريخي، الاقتصادي الذي يتواجد فيه رجل العلم، بمعنى معطيات الزمن، وجوهر التاريخ واللحظة esprit du moment المحيطة بالمنظرين.
2. بالدلالات الثقافية والسوسيو اقتصادية لأشكال الحياة التي تعطي المعاني للمفاهيم المستعملة لتعامل مع الواقع الاجتماعي الذي لا يوجد إلا من خلال اللغة المستعملة في توصيفه.

3. بمجموع الممارسات المعرفية المتبناة في حقل معين في زمن معين وفي مدرسة معينة، وهنا البحث لا يهتم بالبحث عن ما يمكن أن نجده بقدر ما نجد ما نبحث عنه.
4. بالمقاومة التي تحيط بمجموعة الباحثين في حقل معين لتحقيق الهيمنة على السلطة العلمية، والمعرفة الشرعية(التحكم في إنتاج و إعادة إنتاج المعرفة).
5. بالحوافز السياسية، وبأقل ما يمكن تسميته بالحوافز غير العلمية وغير الإرادية *extrascientifiques motivation* التي توجب البحث :

- تفسير العالم من اجل أن نتحكم فيه أفضل.

- تفسير العالم من اجل القدرة على تغييره.

وهذه الاهتمامات تقع في جوهر أعمال التوجهات النقدية خاصة مع أعمال *Robert cox, Max Horkheimer*

فحسب cox فان كل نظرية تتموقع في الزمن وفي المجال الجغرافي *dans le temps et l'espace* و لذلك لا توجد نظرية لذاتها و توجه بمحدد واحد هو البحث عن الحقيقة العلمية، فالنظرية وجدت دوما من اجل شخص ما و لأجل شيء ما.

Une théorie est toujours pour quelqu'un et pour quelque chose.

النظرية إذا تأخذ طابع أو تسمية *problem-solving theory* بمعنى انها مجرد إطار موجه للمشاكل الموجودة لحلها وفق ما يقتضيه الواقع، لذلك فالواقعية الجديدة حسب cox كان وراء وجودها محرك خفي و هو الرغبة في السيطرة على النظام الدولي، أو على الأقل الرغبة في التأكد من إمكانية الرقابة على النظام

الدولي وهذا يعني انه ليست الرغبة المحايدة في التفسير و التنبؤ، و لذلك فهذه النظرية تقدم لعلم لخدمة إدارة النظام الدولي من طرف القوى الكبرى.

science au services de la gestion du système internationale par les grandes puissances.

و هو نفس النقد الذي وجهته النظرية النسوية للواقعية الكلاسيكية لاعتمادها على الانطباعات الذكرية الأولية لذلك تساءل *Anne Tickner* أين كانت النساء في حالة الطبيعة لهوبز؟ (النساء كن منخرطات في عمليات الإنتاج والتربية لذلك غيبن في النشاطات الحربية).

لقد أغفلت الواقعية أن تشرك نصف الإنسانية و هذا ما تعكسه عناوين الآباء المؤسسين:

Waltz: man, the state and war.

Linklater: Men and citizens in theory of international relations

فالنظرية حسب الاتجاهات النقدية في العلاقات الدولية لا تفسر الواقع لأنها تساهم في صناعته، فهي ليست فقط مجرد رد فعل معرفي على الواقع *réaction cognitive a la réalité* ولكنها إحدى الوسائل لصناعة الواقع (*Dario* P247).

حسب يورغن هابرماس فهدف النظرية النقدية هو إدماج الأخر في مجتمع عقلاني *l'intégration de l'autre dans une communauté rationnel*، والنظرية النقدية تعتبر نظرية عالمية تقوم على عالمية الاعتراف وليس على عالمية الهيمنة (لا تقر بهيمنة إطار قيم معني على الجميع و تبقي على التفاعل الدائم بين الهويات).

يعتقد النقديون بان العقلانية الأخلاقية المؤسسة عن طريق الاتصال ستنتهي بمسح الاختلافات أي إنتاج المجال العام *l'espace publique* الذي يشجع على

تكامل واندماج الإنسانية، وهنا يتكلم النقديون على الديمقراطية الكوسموسياسية *démocratie cosmopolitique*، وهذا النموذج أساسه ترسيخ الحوار الذي يعتبر شكل للتفكير والإدراك أخلاقيا و ممارساتيا.

المعرفة والتفسير: ما هي النظرية الجيدة حسب النظرية النقدية؟

ما هي النظرية الجيدة؟

أهم مرتكزات النظرية النقدية هي اعتبارها أن المعرفة هي انعكاس للمصالح والأهداف الاجتماعية الموجودة مسبقا حسب قول اندرو لينكليتر *Linklater*، ولذلك فالقول بالقدرة على التعاطي المحايد مع الظاهرة الدولية فيه الكثير من الاستحالة، وكذا المغالطة لأنه ينفي ثقل السياسة والايدولوجيا على العلم.و حسب نوفلد *Neufled* فالمعرفة ليست محايدة وإنما تتشكل في سياق ثقافي واجتماعي والباحثين يعتمدون دوما على موروثهم الموجود مسبقا *Bagage préexistant*.

و عموما لا تتجاوز النظرية النقدية تعبير هوفمان الذي قال عنها بأنها حاملة لخطاب ما، وكذا التوصيف المشهور للأستاذ روبيرت كوكس *Robert cox* الذي قال:

"النظرية هي دائما في خدمة شخص ما أو هدف ما"

- تبحث النظرية النقدية في الدور السياسي لكل نظرية وبهذا تنفي إمكانية المعرفة الموضوعية الصرفة، أو الوجود ما قبل الاجتماعي للعلم *«présocial»*.
- الأعمال النقدية الأولى خاصة أعمال "مدرسة فرانكفورت": تبحث في سبل تطوير الايبستيمولوجيا الجدلية الماركسية:
  - المطالبة بتخليص الفكر من الصراع الطبقي.

La revendication de désenclavement de la pensée par rapport aux luttes sociales.

- تطوير برامج بحث تستهدف تحليل المجتمع في جميع أبعاده، وخاصة في التناقضات الاجتماعية التي تفتح الباب أمام الإرادة الإنسانية لتغيير الحاضر.
- تبني مشاريع بحثية متعددة الحقول والتخصصات *Des projets de recherches multidixiplinaires*

وهذا التوجه عبر عنه مدير "مدرسة فرانكفورت" *Max Horkheimer* بقوله: "في العصر الحالي لا يمكن لإنسان أن يعرف نفسه من خلال المنطق الرياضي للعلوم الطبيعية، النظرية النقدية وحدها هي من تمنح هذه الإمكانية من خلال دراسة نقدية للمجتمع كما هو لبناء نظام متجانس مع العقل" (*O'mera P233*)

- وهذا ما يعني أن النظرية النقدية هي:

1- نظرية تفسيرية *théorie explicative*.

2- نظرية عملية. *théorie pratique*

3- نظرية معيارية.*Théorie normative*

فهي نظرية بثلاث أهداف: تفسير الوقائع في المجتمع وخاصة علاقات المهيمن والمهيمن عليه، تحديد الفواعل والقوى الاجتماعية والآليات الجماعية الأكثر قدرة على تغيير المجتمع، وعموما فإن النظرية النقدية في العلاقات الدولية يمكن تصنيفها على أنها مجرد تقليد فكري اجتماعي"*Une tradition de pensée social*".

وأهم الأعمال النقدية على الإطلاق نجد:

- أعمال يورغن هابرماس *Habermas*.

- أعمال كين بوت *Ken Booth* (خاصة أعماله حول الأمن).
- أعمال الكندي مارك نوفلد *Mark Neufled*.
- أعمال مارك هوفمان *Mark Hoffman*.
- أبحاث دافيد هالد *David Held* حول الديمقراطية والعولمة.

-Habermas, Après l'état-nation : une nouvelle constellation politique, paris ; fayard, 2000

-Linklater, the transformation of political community : ethical foundation of the post-westphalien Era, Cambridge, polity Press.

ترتكز النظرية النقدية على الاعتراف بالآخر ونفي التوجهات الامبريالية، وهذا ما يحققه الاتصال المتبادل والمتعدد وليس فرض النموذج بالقوة مثل ما حدث في العراق باسم الديمقراطية وحقوق الإنسان (حسب يورغن هابرماس) ،والذي حدث في العراق يصنف على أنه عمل تقليدي تقوده الدولة التي تفضل الحروب من وجهة نظر نقدية.

ولذلك توجه النظرية النقدية انتقادات صارمة لوظائف النظام الدولي الحالي، وتبدأ من التفكير لعالم ما بعد الدولة الوطنية، والنقد الثاني هو انتقاد اندرو لينكليتر للشكل الويستفالي الذي يركز على الدولة، والبديل هو التوجه العالمي الذي يعود لعصر الأنوار. (لأن الحرب مرتبطة أساسا بانقسام العالم على حدود سياسة أنانية).

2- المشروع الما بعد حداثي في العلاقات الدولية :

عرفت فترة ما بعد التسعينات فيها العلاقات الدولية أزمة فعلية مست جميع المقاربات النظرية التفسيرية، ولذلك ظهر جيل من الباحثين يحاول إعادة النظر في مواضيع البحث التقليدية في حقل العلاقات الدولية، وهو ما يبرر ظهور الاتجاه النقدي وخاصة التوجه ما بعد الحداثي الذي يعيد توجيه البرامج والاهتمامات البحثية إلى:

"الطريقة التي تشكلت بها المعرفة، الحقيقة، والمعاني في حقل العلاقات الدولية"

La façon dont- ont été constituées la connaissance, la vérité et les significations

- هذا التوجه مسنود بإرث نظري مشترك:

- فلسفة نيتشه "*Nietzsche*" النقدية للحقيقة والأخلاق التي تعتمد على منطق "الحفريات" "*généalogique*" خاصة أعماله حول علاقة "السلطة/المعرفة *Pouvoir/ connaissance* بحيث أن شرعية أي خطاب مبنية على منطق الهيمنة وتهميش بقية الخطابات.
- مسود أيضا بخطاب نظري مجرد وبقيم راسخة مثل: الحريات الفردية، المقاومة ضد جميع أشكال الإقصاء، ومنطق المقاومة والتحرر.

- توجه ما بعد الحداثة محكوم بعدة أسئلة:
- كيف يتشكل أو نحكى الواقع؟

Comment est construite au racontée la réalité ?

- ما هي دلالات حدث ما؟

Quelle est la ou les significations de cet évènement ?

- ما الذي يجعل حدث معين أكثر أهمية من حدث آخر؟

لذلك فالتوجه المابعد حداثي يتبنى توجها نقديا، ويرتكز على أهمية "اللغة" والكلمات المستعملة في التعبير عن الواقع، وكذا صناعة "العالم الفعلي" " *Le monde réel*"، وهذا ما يجعل من هذا التوجه مجرد "إستراتيجية نظرية " أو استراتيجيات نظرية ترفض جميع التوجهات العلمية النخبوية التي تدعي "المعرفة الموضوعية" وتدعوا إلى تعددية مناهج التحليل وطرق إنتاج الخطاب".

إنها بتعبير جيمس روزنو دعوة إلى " إلغاء النمذجة عن العلوم السياسية

Dé-paradigmatisation de la science politique

أولا- الخلفية التاريخية لما بعد الحداثة في العلاقات الدولية:

لا يمكن تجاهل أن القرن العشرين الذي شهد ذلك التقدم العلمي والفكري المذهل الذي تجاوز ما حققته البشرية من تقدم في تاريخها كله، قد حقق ما حققه بفضل الحداثة، والتي تمتد جذورها إلى عصر الأنوار في القرن الثامن عشر، أين سعى فلاسفة التنوير لتحرير الإنسان والتركيز على الفردية وقوانين العقل، دون أن يخطر لهم أن إنجازاتهم الفكرية ستكون حاملا إيديولوجيا للسياسة الإمبريالية للرأسمالية الوليدة، والتي سعت لامتلاك العالم لضمان المواد الخام واليد العاملة الرخيصة من جهة، وامتلاك الأسواق المستهلكة من جهة أخرى.

فبدأت حركة المد الإمبريالية -الحاملة لإيديولوجيا فلسفة التنوير- تنظر لشعوب الجنوب بوصفها شعوبا في حاجة للتنوير، وبذلك تم تصنيف البشر إلى غرب "متحضرين"، وغيرهم ممن سواهم من باقي الشعوب والثقافات غير الغربية،

والذين أصبح من واجب المتحضرين تنويرهم(بن قانة محمد لمين) [5]..

شكل03: كيفية تأسس مركزية وهيمنة الفكر الأوربي[6]

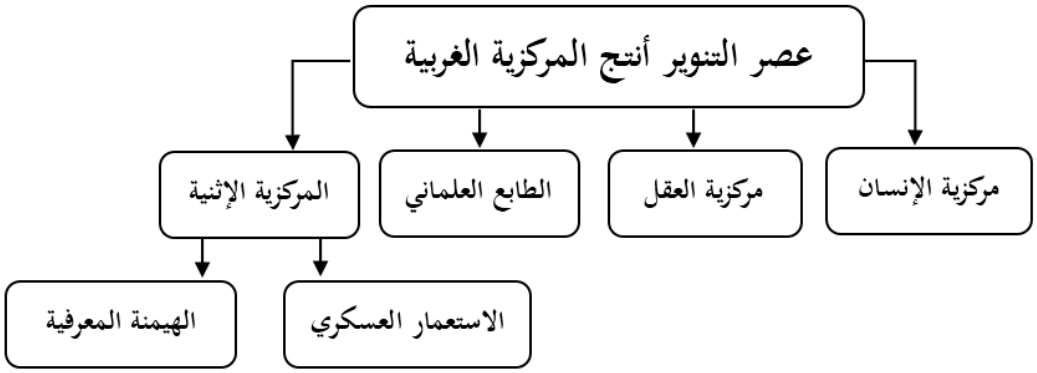

لكن مساوئ تحول فلسفة التنوير إلى أيديولوجيا لم تصب شعوب العالم الثالث فقط، بل طالت حتى شعوب أوربا نفسها في شكل حربين عالمتين جسدتا مأزقا حضاريا في بنية الحداثة وفلسفتها، وكانت النتيجة تقسيم عالم الشمال لمعسكرين إيديولوجيين متنازعين، عاش العالم في ظل الصراع بينهما حربا باردة كبرى، احتوت حروبا صغيرة هنا وهناك دفعت شعوب العالم الثالث مرة أخرى تكاليفها الباهضة.

ونتيجة لذلك فقد ظهر ما يعرف بتيار ما بعد الحداثة الذي ينكر فكرة العقلانية الكلية لمشروع التنوير الذي اهتم بتصنيف الأشياء تصنيفا هرميا، كتصنيفه لما هو عقلي وغير عقلي، وماهو معرفة وما ليس بمعرفة، بل صنف حتى جيد الأدب من رديئه، وحسن الفن من قبيحه، ولذا يرى مفكرو ما بعد الحداثة

تم تطوير بحث رفقة الباحث بن قانة محمد الأمين حول المشروع المابعد حداثي في العلاقات الدولية بجامعة المسيلة-2015، وقد قدمنا فيه مسح 4 معرفي لأهم المشاريع الفلسفية الكبرى التي أسست لما بعد الحداثة سواء في حقل الفلسفة او العلاقات الدولية.

[6]- السعيد ملاح، المجلة العربية للعلوم السياسية، ص 29.

أن عقلانية التنوير ليست سوى عقلانية الإنسان الأبيض وعقلانية الرجل، وهي بذلك مظهر آخر من مظاهر اضطهاد المرأة والأقليات.

اولا-1-: الجذور الفلسفية لما بعد الحداثة:

حسب رأي ميشيل فوكو يعتبر فريديريك نيتشه أحد المفكرين الثلاثة الذين بداو بالنقد الجذري للحداثة في الغرب، وهم ماركس ونيتشه وفرويد، ولعل نيتشة هو الأكثر جذرية، إذ طال تقريبا كل الأسس التي قام عليها كل التراث الفلسفي للإنسانية.

ويرى فوكو في كتابه "جينيالوجيا المعرفة" أن القرن التاسع عشر، وعلى الأخص ماركس ونيتشه وفرويد، قد أسسوا لإمكانية قيام تأويل جديد. فالكتاب الأول من الرأسمال، ونصوص مثل: "مولد التراجيديا" و "جينيالوجيا الأخلاق" و"تأويل الأحلام" كلها نصوص ومؤلفات أحدثت صدمة وخلفت أزمة في الفكر الغربي، حيث يقول فرويد في أحد مؤلفاته بأن الثقافة الغربية قد عرفت ثلاث أزمات، أولها تلك التي أحدثها كوبيرنيك في نفي مركزية الأرض، ثم ما أحدثه داروين في المجال البيولوجي، والذي شكل حدثا حاسما، ذلك أنه حسب داروين، لم يعد الإنسان ذلك المنحدر من أصول سامية بقدر ما يعود أصله إلى أصول حيوانية. وثالثا ما أحدثه فرويد نفسه عندما بين أن الشعور يقوم على اللاشعور، وأنه الى جانب الوعي هناك اللاوعي.

وقد جرت العادة في الفلسفة الحديثة بتسمية "ما بعد الحداثة" تلك الأفكار التي أخذت على عاتقها نقد الأنسية الحديثة ابتداء من أواسط القرن التاسع عشر وفلسفة عصر "الأنوار" (القرن الثامن عشر) على الأخص. وكما سجلت هذه الأخيرة قطيعة مع علوم الكون الكبيرة للتاريخ القديم ومهدت لنقد الأديان فإن مفكري ما بعد الحداثة هاجموا أقوى معتقدين كانا يحركان "المحدثين" في القرن السابع عشر وحتى القرن التاسع عشر.

أولهما: المعتقد القائل بأن الإنسان هو مركز العالم، ومبدأ كل القيم الأخلاقية، والسياسية.

والثاني: وهو المعتقد الذي يعتبر العقل قوة هائلة ومحررة، وأننا، بفضل فلسفة "الأنوار" (اختصارا لعصر الأنوار)، سنكون أخيرا أكثر حرية وأكثر سعادة. فبانتقاد "ما بعد الحداثة" لهاتين المسلمتين كانت نقدا للأنسية ونقدا للعقلانية في آن معا، وقد وصلت، بدون شك، إلى ذروتها مع نيتشه.فعلى الرغم من ان مفهوم ما بعد الحداثة قد ظهر بشكل واضح في السبعينيات من القرن العشرين الميلادي، في كتاب الفيلسوف الفرنسي جون فرنسوا ليوتار، (علم ما بعد الحداثة) وعنى بها التعددية الثقافية وتعدد أنماط الحياة، الا ان كثير من الباحثين يرجع أصول هذا المذهب الأولية إلى الفيلسوف الألماني نيتشه، الذي نادى بموت الإله، بمعنى موت الاعتقاد بالإله ، والإله بالنسبة لنيتشه هو العالم المتسامي او عالم الأفكار والمثاليات والمطلقات والكليات والثوابت والقيم الأخلاقية، أي التحرر الكامل للإنسان من أي سيطرة أو ثوابت أو مرجعيات عقلية ،ويعتبر نيتشه أحد المصادر الرئيسية في القرن التاسع عشر للأفكار التي تميز الوضع ما بعد الحداثي، فالنزعة النسبية الأخلاقية والمعرفية لعالم ما بعد الحداثة ونزعة الريبة (الشك) في إمكان تمييز الصدق من الكذب الحقيقة من الزيف نجد نموذجها في فكر نيتشه العدمي جذري ، فقد قامت أفكاره على الفلسفة العدمية، حيث ينطلق فيها من الثورة على عقلانية "الأنوار" التي أحلت العقل محل الدين في تشكيله المرجعية الثابتة، والذي ذهب بالعقلانية إلى أقصى ما يمكن أن تصل إليه، فأعلن نيتشه أن هذا الإيمان السائد بالعقل ما هو إلا وهم، وأن المركزية التي حولتها

العقلانية المادية من الدين المسيحي إلى الإنسان مركزية زائفة، إذ إن الإنسان ليس إلا كائنا طبيعيا وليس له أي أهمية خاصة(بن قانة محمد لمين).

وإذا كان ديكارت أول من صاغ مبدأ الذاتية، ولايبنتز أول من ذكر مبدأ العقلانية، فإن نيتشه هو أول من ذكر مبدأ العدمية، لذا يمكن القول أن فكر نيتشه هو فكر معاد للحداثة ويركز هجومه على فكرة الذات،حيث يستند في عدائه للحداثة على مبدأ العدمية وهو يعنى انه لا قيمة للقيم،أي أن ما كُون في العصور السالفة من مبادئ راسخة ثابتة ومثلا عليا سامية صارت مع مجيء الحداثة عدماً افقد القيم كل معنى أو حقيقة. والعدمية Nihilisme مشتقة من اللفظ اللاتيني Nihil ومعناه "لا شيء" وهناك ثلاثة اتجاهات من العدمية، أولها العدمية الفلسفية Nihilisme Philosophique وهي أما مطلقة أو نقدية، حيث تتميز المطلقة بإنكار كل شيء، أما النقدية فتتميز بإنكار قدرة العقل على الوصول إلى الحقيقة، وفي كل الحالتين هي مرادفة للريبة Scepticisme. اما الثانية فهي العدمية الأخلاقية Nihilisme Moral وهي إما أن تكون مذهبا فكريا يدل على إنكار الأخلاق وإبطالها، وإما عبارة عن نزعة فكرية تدل على خلو العقل من أي تصور لهذه القيم. وهناك العدمية السياسة وهي مصطلح سياسي استعمله لأول مرة "تورجنيف" في روايته "أباء وأبناء" سنة 1862، ويطلق هذا المصطلح على المذهب السياسي والاجتماعي الذي اعتنقه عدد كبير من الثوريين الروس قبل سقوط الحكومة القيصرية عام 1917، حيث يقوم هذا المبدأ على الامتناع عن الاعتراف بشرعية القيود القانونية المفروضة على الأفراد، وتأخذ العدمية المعنى الذي أعطاه نيتشه لها في مؤلفه "إرادة القوة"، بأنها غياب الهدف، وان تنخفض قيمة القيم السامية، وبأنها الوضع الذي يتدحرج فيه الإنسان إلى خارج المركز نحو المجهول، ومعنى اللفظة عدمية يتلقي بشكل إجمالي بتعرف هايدغر لها: بأنها هي العملية التي بها في نهاية المطاف "لن يعود ثمة شيء" فيما يتصل بالوجود، فالتعريف النيتشوي كما التعريف الهيدغري لا يعتبران خروج الإنسان من المركز

نحو المجهول ممكنا إلا إذا لم ثمة شيء فيما يتصل بالوجود، فالعدمية قبل كل شيء تمس الوجود ذاته، ويمكن تلخيص ممل قضية العدمية بالنسبة لنيتشة في موت الإله، أو بعبارة أخرى "سقوط القيم العليا".(بن قانة محمد لمين).

كما كان نيتشه شكاكا بدرجة مفرطة، فلم يكتف فقط بأن أنكر أن يكون ما لدينا من معلومات صحيحا، بل أنكر أن يكون هناك طريقة للوصول للحقيقة أصلا. فهو لا يشكك فيما لدينا من وسائل للمعرفة بل ينكر أن يكون هناك أمكانية للوصول لحقائق الأمور بتاتا، وقد حمل على (المطلق) ونادى بأن كل العلوم إنما هي اعتقادات ونظرات خاصة ينشئها كل لنفسه. والمسألة لا تعدو أن تكون منظورات (وجهات نظر) مختلفة، وليس لأحد الحق، والحالة هذه، بأن يقرر أن رأيا أصوب من الآخر.

فالإشكالية الأساسية في الفلسفة الغربية منذ عصر النهضة هي محاولة البحث عن مركز ثابت في عالم مادي كل ما فيه في حالة تغير وحركة، وفلسفة ما بعد الحداثة تحاول أن تنهي تلك الإشكالية وأن تدفع بكل شيء إلى "الصيرورة" وذلك من خلال نزع القداسة عن كل الظواهر، وهذا ما يؤدي إلى غياب المركز وسقوط المرجعية وسيادة النسبية والعدمية. ويطلق على فلسفة ما بعد الحداثة أيضا " والتي تترجم بعبارة "ضد الأسسية"، أو رفض المرجعيات، مما يعني السقوط في اللاعقلانية الكاملة، حيث يقول ريتشارد رورتي، إن ما بعد الحداثة تعني أن الانسان لن يقدس شيئا ولا حتى نفسه. وقد كان لهذه الفلسفة الأثر البالغ في مفكري ما بعد الحداثة الذين انحدر فكرهم عن فكر نيتشة، فقد استنبط جاك دريدا، من تقويض نيتشه مزاعم العلوم الطبيعية في الكشف عن الحقيقة، مذهبه التفكيكي للنصوص، كما كان لفكر نيتشه تأثير على مفكري المذهب النقدي الجديد (ما بعد الحداثة) مثل ميشيل فوكو الذي يرى بأنه ينبغي التأسيس على ما كتبه نيتشة في أصل الاخلاق، حيث يعتبران المبادئ التي تزعم أنها فضائل ومن ثم فإن تيار ما بعد تخفي وراءها خطاب القوة المفروض على الإنسان

الحداثة في ضوء ذلك يمكن وصفه بأنه عدمي وذلك لأنه ينكر الاحكام التعميمية على نطاق المجتمع ويدعو إلى هجر مصطلحات الحقيقة باعتبار انه لا يمكن التي الامساك بتلابيبها فبأي مجال وكذلك ترك مصطلح الموضوعية لأن الذاتية هي تحكم مختلف المسارات، كما يفقد التاريخ في ضوء هذا الاتجاه شرعيته لأنه غالبا ليس إلا مجموعة من الكتابات الدعائية وهذا الاتجاه العدمي يدعو إلى الجزئي على حساب الكلي. فخلاصة فكر ما بعد الحداثة هو السعي للتأكيد على نفي التعميمات والقوانين العامة، والتأكيد على غياب ما يسمى، بالمرجعيات، وهيمنة النسبية والمعرفية الأخلاقية، ومن ثمة استحالة الوصول إلى فكرة الكل؛ سواء فكرة الإله أو الأخلاق المطلقة أو الطبيعة البشرية (بن قانة محمد لمين).

عموما يعود استعمال مصطلح ما بعد الحداثة إلى الهندسة المعمارية كتوجه نظري، وبعدها استعمل في الأدب، أما في الفلسفة فيمكن التأريخ لها بأعمال فرانسو ليوتارد في سنة 1979 خاصة كتابه: "

La condition post moderne : rapport sur le savoir"، وقد بعث طروحات

الاستاذ ميشال فوكو لذلك يعتبر مرجع ما بعد الحداثة " صنفه ضمن ردات *Jurgen Habermas* . ومع ذلك فإن يورغن هابرماس" فعل "المحافظين الجدد"، لذلك فيجب انتظار أعمال فريديريك جامسون في الأدب المقارن التي تحمل دعوة قوية للتحرر وللتفكير في *Frédéric Jameson* الحاضر تاريخيا في عصر يفضل الا يفكر تاريخيا في البداية".

« Tentative de penser le présent historiquement dans une ère qui a oublie de penser historiquement pour commencer »

- عموما ما بعد الحداثة تمثل الشرط الاجتماعي والتكنولوجي للحياة في ظل المجمعات ما بعد الصناعية.

- أما في العلاقات الدولية فإن كتابات ريتشارد اشلي *Richard Ashley* بدأت تؤسس للتوجه الما بعد حداثي، وقد انتقد كتابات كينيث والتز *Waltz* بقوة لدرجة وصف "الواقعية الجديدة بالنظرية الفقيرة" لأنها تبالغ في الوضعية وتغفل فكرة ن ا الباحث هو مجرد "مقدم للواقع"، وتفصل الباحث عن كل الانطباعات الشخصية والقيمية.
- في هذا التوجه ينتقد تقديم النظرية في شكلها اللاتاريخي والمجرد، والأصل حسب طروحات ما بعد الحداثة النظرية هي مجرد ممارسة سياسية مجسدة في سياق سوسيوتاريخي« *Situation sociohistorique* » ، أي ان المفاهيم لديها تاريخ والباحثين وأفكارهم تتموقع جغرافيا، اجتماعيا، سياسيا، تاريخيا ...) فما بعد الحداثة لا تنعتق من مجالها الجغرافي والزمني

Espace spacio –temporelle حسب ريتشارد اشلي *Ashley*.

- ما بعد الحداثة في العلاقات الدولية تحاول إزالة الغموض بين: الأفكار، النظرية والممارسة، الكلمات والأشياء، ولذلك فالمشروع البحثي يحلل كيف يتشكل "موضوع وفواعل" العلاقات الدولية في وعن طريق خطابات ونصوص السياسية العالمية، وتعبير *Young*: النظرية تتضمن ممارسات اجتماعية تنفي عليها صفة الحياد وتكسبها صفة صناعة "علاقة القوة".

وبذلك فالنظريات الأرثوكودية تمثل جزء من العمليات التاريخية المؤسسة للعالم ولطرق تعاملنا للتحكم فيه، ولفهم القوة وعلاقات القوة يجب معرفة كيفية بناء النظريات وارتباطهما بعلاقات القوة.

- حسب التوجه الما بعد حداثي فان قراءة نص معين يعتبر فعل اجتماعي *Une action sociale*والقارئ يصبح وكيل « agent » منخرط في عملية بناء اجتماعي، وبتأويلاته وتفسيراته تفقد المعرفة خاصيتها النظرية الصرفة وندخل في مراحل

ما وراء النظرية *Métathéorique* (تفكير حول التنظير لنظرية حول السياسة الدولية).

- وتاريخيا يجب أن نشير إلى اعمال *Jean der Derian* خاصة كتابه الأول سنة 1987 حول الدبلوماسية *On diplomacy*، ثم كتابه الثاني رفقة شابيرو Shapiroعام *International / intertextual relation 1989* وهذه الكتابات تقدم قراءات ثورية للتاريخ الديبلوماسي بالتركيز على: اللغة، التناص *Textualité* La subjectivité وكعوامل لتشكيل حقل العلاقات *généalogie normativité*، الدولية.

أولا 2- الخلفية المفاهيمية والابستيمولوجية لما بعد الحداثة في العلاقات الدولية.

شهدت العلاقات الدولية بعد نهاية الحرب الباردة اختراقا جليا من المقاربات التي تهدف إلى شرح وتفسير ما طرأ على العلاقات الدولية، حيث انكب الكثير من الباحثين لإعادة النظر بالدراسة والتساؤل والنقد للأدبيات التقليدية للبحث في العلاقات الدولية، فكانت هذه المقاربات النقدية تستهدف توسيع مجالات التفكير والآفاق الابستيمولوجية والمنهجية ما وراء حدود التيارات المهيمنة، فشكل هذا السياق ما يعرف بـ" ما بعد الوضعية في العلاقات الدولية"، وهو تيار نقدي يتساءل حول الكيفية التي تكونت بها المعرفة والحقيقة والمعاني " في هذا الحقل من العلوم. حيث تتميز ما بعد الوضعية بالصفة النقدية التي تعتبر انشقاقا عن التقليدية للسياسة العامة، كما تعنى بالاهتمام بالخطاب والمصطلحات الموظفة للتعبير عن الواقع وبنائه. لذا يجمع الباحثون ما بعد الوضعين على سؤال جوهري وهو: "كيف يبنى الواقع؟". و "هل المعرفة العلمية ممكنة في حقل العلاقات الدولية؟"وقد بعث هذا التساؤل الذي واجهته العلوم

الاجتماعية من قبل، حوارا جديدا في حقل العلاقات الدولية.

- تطور مفهوم ما بعد الحداثة في العلاقات الدولية:

ما بعد الحداثة هي نظرية اجتماعية تجد أصولها عند مجموعة من الفلاسفة الفرنسيين الذين رفضوا فلسفة الوجودية التي كانت مهيمنة في فرنسا في أواخر الأربعينيات وبداية الخمسينيات من القرن العشرين. ولكن ولوج ما بعد الحداثة عالم العلاقات الدولية لم يتم إلا مع أواخر الثمانينيات من القرن العشرين، بعد ترجمة كتاب: "الوضع ما بعد الحداثي" لجون فرنسوا ليوتار إلى الإنجليزية عام 1984. وتمثل ما بعد الحداثة إحدى النظريات الهامة في المحاورة الثالثة، بل يطلق عليها رونالد بلايكر صفة التحول الجميل.

ويتضمن مصطلح "ما بعد الحداثة" نسق أفكار مستنبطة من الهندسة المعمارية إلى النظرية الاجتماعية. وقد استخدم لأول مرة من قبل الكاتب الإسباني فريدريكو دي أونيس في الثلاثينيات من القرن العشرين. أما ما بعد الحداثة كنظرية، فإنها تفضل أن توصف بأنها تمثل موقفا وليس اتجاها نظريا بعينه. إذ تعتبر موقفا نقديا للتحديث الغربي، ومن أبرز المساهمين في بلورة نظرية ما بعد الحدثة نجد ولاكان، فرنسوا ليوتار، ليبوفنسكي، كريستيفا، بارتز، وبودريلار، فوكو، دريدا.

وهي مقاربة مميزة في دراسة العلاقات الدولية، ظهرت _في هذا الميدان على الأقل_ في الثمانينيات من القرن العشرين، حيث بدأ تأثير التفكير ما بعد الحداثي في حقل العلاقات الدولية يظهر بشكل واضح وجاد بعد صدور كتاب جيمس دير دريان، ومايكل شابيرو بعنوان العلاقات التناصية/الدولية" .والذي

يعد جامعا لكل قراءات وأفكار ما بعد الحداثة للسياسة الدولية(.عبد الناصر جندلي،ص330)

فقد تزامن ظهور هذه النظرية –مثل باقي النظريات التكوينية- في حقل العلاقات الدولية مع نهاية الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفياتي. أين شكل الوضع الدولي الجديد لعالم ما بعد الحرب الباردة نقطة انعطاف وتحول على المستوى السياسي وكذا على المستوى الأكاديمي. فإذا كان سقوط الاتحاد السوفييتي قد أدى إلى بروز الولايات المتحدة الامريكية كقوة عالمية مهيمنة ومتفردة برسم مشاهد السياسة العالمية، فإن هذا الحدث قد برز على المستوى التنظيري للعلاقات الدولية في نقطتين أولاهما: التحول في وحدات العلاقات الدولية بحيث لم تعد الدولة الفاعل الوحيد والأساسي نتيجة ظهور عدد جديد ومتزايد من الوحدات، والثانية: التحول في موضوع العلاقات الدولية حيث غلب العامل الاقتصادي بين المتغيرات الأخرى الاجتماعية والسياسية.

كما برزت عوامل أخرى دفعت نحو الانتقال من الحداثة إلى ما بعد الحداثة كموقف نقدي،منها: (بن قانة محمد لمين).

- ظهور عنصر الهوية والعامل الثقافي في السياسة العالمية.
- تطور المجتمع المدني في مواجهة هيمنة الدولة على المجال العام.
- أزمة الدولة القومية واندلاع الثورات العرقية والحركات الانفصالية.

وتتميز نظرية ما بعد الحداثة بثلاث أفكار رئيسية:

أولا: يعرب مؤيدو ما بعد الحداثة عن موقف عدائي حيال الادعاء بحقيقة مطلقة أو عالمية، وهم يرفضون الفكرة القائلة بحقيقة خارجية مستقلة عن آرائنا واللغة التي نستعملها للتعبير عن هذه الآراء، ويطالبون بالتالي بتقويض التمييز

التقليدي بين النظرية والممارسة. ويعتبر مؤيدو ما بعد الحداثة أن كل مطالبة بالحقيقة مؤسسة على الحكايات الكبرى أو خلفية النظرة إلى العالم التي تصح بموجبها أو تسقط مطالبات معينة بالحقيقة. وبوجه خصوصي، علينا أن نحذر المطالبة بالحكايات الكبرى الحديثة المهيمنة، وبالتفسيرات المتنافسة حول الطبيعة البشرية الكونية، والمعرفة والتقدم التاريخي الذين يؤلفان أقسام مشروع التنوير المتنوعة ولا سيما الواقعية، اللبرالية، والماركسية، والمناهج العلمية الحديثة، ويرى مؤيدو ما بعد الحداثة أنه لم تقم أي مؤسسة بتشريع حكايات أخرى بصفتها خطابات منفصلة ومميزة تتحادث فيما بينها، وما إن تدخل نطاق الصراع، يستحيل القضاء فيما بينها (مارتن غريفيش، تيري أوكالاهان ، ص 355)

ثانيا: يسعى مؤيدو نظرية ما بعد الوضعية إلى كشف النقاب عن الحكايات الكبرى المحررة المزعومة بصفتها تروج القمع فقد تولد من عمليات تحرير معينة أشكال جديدة من "السجن"، فحررتنا اللبرالية من الإقطاعية لتسلمنا بين يدي الرأسمالية، وأزاحت الماركسية ببساطة الرأسمالية لتضع مكانها الستالينية، وأهمل العلم الحديث أشكال المعرفة الإنسانية لما قبل الحداثة وهمشها، ويستبعد مفهوم الحكايات الكبرى خلاله، مفهوم "الأخر" الذي لا يوافق هذه الفئة بالذات، ويمكن بالتالي قمع الآخر المستبعد قمعا مشروعا. وفي الواقع، تكون الحقيقة قناعا للسلطة ذاتها.

ثالثا: فيما يتبين أن مفهوم ما بعد الحداثة يحظى بموقف أخلاقي مميز خاص به، يمكن تلخيصه بما يلي " احترام الاختلافات".

اثناء دراسة العلاقات الدولية يلفت العلماء المتأثرون بما بعد الحداثة الانتباه إلى الروابط التي لا تنفصم بين السلطة والمعرفة في العلاقات الدولية على صعيدي النظرية والممارسة، كما أنهم ينخرطون في مشاريع "تفكيك" المجالات. ويكمن الهدف في الإفصاح عن الاستراتيجيات التي تشيد من خلالها خطابات معينة عن السلطة/المعرفة في الميدان تسلسلا هرميا ذا علاقة بالمفاهيم المعارضة

مثل: (النظام/الفوضى، الخارج/الداخل) وتقمع الانشقاق من خلال اللجوء على ما يزعم أنه خصائص موضوعية في العالم[8] (مارتن غريفيش، تيري أوكالاهان، ص457)

وتعتمد ما بعد الحداثة على تحليل الخطاب والتناص، الذي يعبر عن ثلاثية: المؤلف، النص، والقارئ، وأن المؤلف يموت بمجرد كتاتبه للنص، وينتهي دوره، بينما تقع مسؤولية تأويل النص واستيعابه على القارئ، فعملية التأويل هذه هي ما يسمى بالتناص، وهذا ما يبني تصورا مغايرا لذلك الذي يدافع عنه الواقعيون الجدد والليبراليون الجدد. حيث أشار ليوتار في كتابه "الوضع ما بعد الحداثي" إلى الإقرار بسقوط النظريات التفسيرية الكبرى وعجزها عن مواكبة التحولات والتغيرات الدولية المتعاقبة، واصفا إياها بالجامدة والقاصرة.(جندلي عبد الناصر، ص 333)

الأدوات الابستيمولوجية لما بعد الحداثة:

وتعتمد ما بعد الحداثة في إطارها الابستمولوجي على سلطة المعرفة، وبذلك تدعم هذه النظرية العلاقات الدولية بطريقة منهجية لفهم واستيعاب وتوضيح الواقع، حيث يرى ما بعد الحداثيون أن كل سلطة تتطلب معرفة، وكل معرفة تعتمد على علاقات القوة الموجودة وتعمل على تدعيمها. أما على المستوى المنهجي، فتتبنى نظرية ما بعد الحداثة منهجية بديلة عن تلك التي انتهجتها النظريات التفسيرية التقليدية ألا وهي تقنية التفكيك التي استخدمها ما بعد الحداثيون في تفكيك النصوص للبحث فيما بين سطور هذه النصوص، والكشف عن تلك النقاط التي يتجاوز فيها النص المعايير التي وضعها لنفسه (جندلي عبد الناصر، ص -334-333)

يحاول المشروع الما بعد حداثي ايبستيمولوجيا إعادة التفكير في مفاهيم "السياسة" من خلال إعادة النظر في العلاقة بين العقل ،السلطة والنقد، أي إعادة النظر في توصيفات الحداثة للعقل، الواقع، الحقيقة ، وتدافع ما بعد الحداثة على أن هذه المفاهيم هي نتاج بناء وتشكيل اجتماعي لغوي.

- بالسنة لما بعد حدثين المعرفة موجودة في ظل خطاب فردي وذاتي وليس عالمي، ولذلك لا توجد أسس ثابتة للمعرفة.
- تقوم على مناهضة الاسسية *L'antifoundationnalisme* وتبني النسبية الايبستيمولوجية، أي انها تدافع على تصور مناهض للأسسية في المعرفة وتقول بالذاتية الفردانية للمنظرين.
- الحوار بين مختلف التصورات ليس بهدف الإقصاء والهيمنة وإنما من أجل تقبل الاختلاف.

– وحسب ميشال فوكو فان: " الحقيقة ليست خارج السلطة، وليست بدون سلطة".

«La vérité n'est pas hors pouvoir ni sans pouvoir »

كما ان كل مجتمع لديه نظام خاص للحقيقة، وسياسته العامة للحقيقة، بمعنى أن أنواع الخطابات التي يستعملها هي التي تصنع ما يسمى بالحقيقة.

- التناص: *L'intertextualité*: كإستراتيجية لتأويل الفهم.
- التفكيك: *Déconstruction*: كاستراتيجية ما بعد حداثية.
- الحفريات *La géneologie* كطريقة تحليل تاريخية تجيب على سؤال "الأستاذ نيتشه" كيف وصلنا إلى ما نحن عليه؟

Comment en est-on arrivé là où nous sommes ?

- **التفكيك ونفي مركزية الفكر الغربي:**

قبل الشروع في الحديث عن الأصول المعرفية للتفكيكية، يجب أولا توضيح ما تعنيه هذه المفردة، وذلك حتى يتسنى لنا ربط العلاقة بين المفاهيم التفكيكية وأصولها المعرفية. إذ يصعب في هذا الموضوع تحديد مفهوم دقيق له أو تحديد دلالة ثابتة ومستقرة، كونه يشير إلى تيار فلسفي ونقدي يرفض التعريف والتحديد، إضافة إلى أنه لا يتصف بصفة واضحة، حيث يرى "كوللر" جوناثان أن التفكيك يتخذ مظاهر عديدة: فنجده تارة يبدو موقفا سياسيا، وتارة أخرى يكون استراتيجية سياسية أو فكرية، ومرة ثالثة يبدو طريقة في القراءة . والتفكيكية وجه من أوجه ما بعد الحداثة، كونها فكرا تقويضيا معاديا للعقلانية والكليات، سواء كانت دينية أو مادية، وهي فكر يحاول الابتعاد عن الميتافيزيقا ومركزية الحقيقة وثباتها ليتجه نحو الصيرورة، فهي أسلوب عام يقوم على زعزعة جذرية لما تم اعتباره مفاهيما مستقرة.(بن قانة محمد لمين).

وقد اقترن مصطلح التفكيك بـ: جاك دريدا أكثر من غيره لبراعته في استثمار آلياته، مركزا نقده على -غرار من سبقه- على مركزية العقل والمعنى، وقد بدأ النقد التفكيكي معه بجملة من المصطلحات التي عرف بها مثل: الاختلاف، التشتت، علم الكتابة، المركزية الغربية، ومركزية العقل ...، وحسب دريدا فإن التفكيكية "تهاجم الصرح الداخلي سواء الشكلي أو المعنوي للوحدات الأساسية للتفكير الفلسفي، بل وتهاجم ظروف الممارسة الخارجية، أي الأشكال التاريخية للنسق التربوي لهذا الصرح، والبنيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لتلك المؤسسة التربوية.(عبد الوهاب المسيري، 2003، ص111).

ويعد الاختلاف أحد الأركان الأساسية في تفكيكية دريدا، كونه يمثل مشروعا فلسفيا متواصلا اكتمل بناؤه على يدي دريدا، فمقولة الاختلاف تلعب دورا محوريا في مشاريع العديد من النقاد وفلاسفة الاختلاف، منهم نيتشة وهايدغر. ولعل ما يجعل مقولة الاختلاف مقولة مركزية في المشروع التفكيكي، هو

كونها المقولة الأكثر فعالية في مواجهة ميتافيزيقا الحضور، التي قامت التفكيكية بالأساس على نقضها، فالتفكيك بتأكيده على الاختلاف وإلغاء الحضور وإرجاء المعنى وكسر سلطة التعالي الفلسفي، يكون قد أرسى دعائم الغيرية باعتبارها ثمرة مشروع الاختلاف وبديلا حضاريا وفلسفيا مغايرا لتصورات الميتافيزيقا الغربية(بن قانة محمد لمين).

وفي الواقع فإنه من المفارقات محاولة تعريف التفكيكية أو تحديدها ووصفها كطريقة أو منهج، حيث أن أعمال دريدا ونقاشاته حول التفكيك خصوصا، جاءت كنقد للتعاريف وتحليل النتائج، أو تحديد المنهاج، أو إمكانية وجود تعاريف وتحديدات للمفاهيم. حيث يرى أن هذه المحاولات لإنتاج يقين شمولي، يقضي على إمكانية قيام أخلاقيات سياسية، ولفهم معنى ذلك، فإن من الضروري فحص ودراسة انتقادات دريدا للميتافيزيقا الغربية واللوغومركزية.

فإلى جانب مقولة الاختلاف صاغ دريدا مقولة اللوغومركزية، كتعبير على تحدي سلطة احتكار المعنى، وكلمة ، مركبة في اللغة الفرنسية من كلمتين، و، والثاني يعني التمركز وهو ليس بالمصطلح الإشكالي، حيث يمكننا القول بأنه نوع من ممارسة التسلط والنفوذ في الإحاطة بمراكز انتاج المعنى وتفعليه. أما مصطلح اللوغوس فله مفهوم ثابت ومستقر، وتتعدد استعمالاته في شتى ميادين الفكر والفلسفة، مما أدى على تشعب إحالاته التي يمكن حصرها في ثلاثة فضاءات: (بن قانة محمد لمين).

- فضاء اللغة والتشكل اللساني: يشمل اللفظ والقول والخطاب.

- فضاء الفكر والعمليات الذهنية: ويشمل الفكر والتعليل العقلي والشرح.

- فضاء الكون الحسي: ويشمل الوجود والقوانين الطبيعية والمكان.

غير أنه وحسب دريدا فإن المفاهيم ذات الأولوية لا يمكنها العمل في وجود الأخرى، والتي تعتبر كطيف أو ظل لها، ولهذا يطلق أحيانا على طيف المفهوم الثاني "المشكل خارجا"، أو بعبارة أخرى لابد من استبعاد المفهوم الثاني حتى يظهر الأول للوجود. وعلى سبيل المثال: مفهوم "الذاكرة" والذي لا يعني شيئا إذا لم يكن لدينا في اعتبارنا مفهوم "النسيان" مسبقا، أي أن مفهوم الذاكرة يحمل في طياته طيفا خفيا لمفهوم النسيان. ولهذا فإن أعمال دريدا تقترح وجوب النظر إلى المفاهيم الغائبة عن الوجود أيضا، بدل التفكير فقط في تلك الموجودة في الواقع. (بن قانة محمد لمين).

وحسب ما يرى دريدا فإن الميتافيزيقا الغربية قد بنيت على أساس هذه المعارضات في المفاهيم، والتي تميز في الغالب أحد المصطلحات على الأخرى –كما سبق- ومن هنا يأتي عمل دريدا الذي ينصب على تجاوز هذه المعارضات عن طريق تفكيك الميتافيزيقا للوصول إلى الاختلاف وبذلك إعادة المفاهيم المفقودة التي تجاهلها الفكر الغربي. لكن ما يهمنا هنا من ذلك كله هو استخدام دريدا هذا التحليل لنقد مركزية فكرة الانطولوجيا والوجود في الفكر الغربي، وهو يرى أنه إن كان هناك وجود لشيء ما فإنه قد تم جلبه لحيز الوجود من خلال طريقة معينة في التفكير، كما أن جلبه لهذا الوجود يترتب عليه آثار سياسية سلبية. (بن قانة محمد لمين).

ومن خلال النقاشات التي لاتنتهي ونقاشات ما هو موجود أو الكيفية التي ينبغي من خلالها أن تحدد الأشياء، تطرح العديد من الأسئلة مثل: ما هي الدولة؟ أو ما هو الإرهاب؟ ليظهر بعد ذلك أن هياكل السلطة ليس لها أي أساس تتشكل من خلاله سوى تقسيمات تلك التسلسلات الهرمية المجحفة، ومن هنا تعمل التفكيكية بطريقة آلية لتبدأ الهياكل الفكرية التي تأسست من خلال

اللوغومركزية بالتعثر والانهيار. فالتفكيكية ليست ميزة أو خيارا مطروحا بل هي أمر لا مفر منه، وهذا يعني أن اعتماد هذا المنهج في التحليل لا يهدم شيئا.

إذ أن التفكيكية ، ليست تقويضا او هدما، بل هي –كوسيلة- لا تنطوي على اكثر من الإيعاز والمساعدة في مختلف مراحل العملية التي تؤدي إلى فهم معنى معين، كما تسعى إلى لفت الانتباه إلى أن طريقة التفكير التي تأسست وقامت عليها اللوغومركزية طريقة غير مستقرة وغير مقبولة في الواقع، وفي المقابل يطالب التفكيكيون بتبني مقاربات سياسية أخرى.

ذلك أن التفكير العقلاني يقوم على افتراض أن المعرفة والحقيقة قابلة للتحقيق، حيث يمكن التوصل إليها من خلال أشكال مختلفة من العمليات العقلية المنطقية والتحليل التجريدي. ويشير المنهج التفكيكي إلى أن هذه الطريقة العقلانية في التفكير يمكن أن تسبب مشكلة، وبدلا من ذلك يدعو هذا المنهج إلى الاعتراف بالحاجة إلى قرارات أخلاقية-سياسية، والاعتراف باستحالة قيام معرفة كاملة، أو وجود أنطولوجي.

فإجراء تحليل فلسفي أو ميتافيزيقي على أساس التجريد والقواعد العامة، قد يعود بنتائج موهمة وغير يقينية، الأمر الذي قد يترتب عليه نتائج خطيرة على المستوى السياسي. ولذلك ينادي دريدا إلى قبول الانفتاح وإعطاء أهمية للجوانب الأخلاقية-السياسية في عملية صنع القرار، وبخاصة تلك القرارات التي يجب اتخاذها في الظروف الاستثنائية، حتى لوكانت "المعرفة" غير كافية لتضمن نتائج هذه القرارات. ومن المؤكد أن دريدا لا يدعو إلى الارتياب أو النسبية ولكنه يدعو إلى الاعتراف باستحالة تحديد الإجراءات التي ينبغي اتخاذها بشكل يقيني مطلق أو تجريدي.

ويستعمل ما بعد الحداثيون منهج التفكيك في تحليل حرب العراق وأحداث الحادي عشر من سبتمبر، إذ من خلال عملية التفكيك يتم الكشف عن عدة تفسيرات للحرب الأولى في العراق، فمن وجهة نظر الحكومة العراقية كان

الهدف من الحرب استعادة أراضيها، أما من وجهة نظر عدد من أعضاء النخبة في الجيش العراقي فقد اعتبروا الحرب فرصة جيدة لتحقيق إنجازات جديرة بالثناء، في حين شكلت الحرب لجنرالات الجيش العراقي فرصة جيدة لتلقي ترقيات، ومن ناحية أخرى، فإن النساء اللواتي كن يعانين في بغداد وأصبحن بلا مأوى فسبب الحرب في نظرهن راجع إلى القدر أو بسبب أمريكا أو هو عقاب إلهي. أما الجنود الانجليزيون والمصريون فربما يرون حقائق مختلفة للهدف من وراء الحرب، وإلى جانب هذا كله يدعي الرئيس الأمريكي السابق جورج هربرت بوش (الأب)، أن الغرض من الحرب كان لمنع ظهور دكتاتور آخر مثل هتلر في منطقة الشرق الأوسط.

ويمكن استعمال منهج التفكيك مرة أخرى للبحث في أكثر من حقيقة واحدة عن حرب الخليج الثالثة (حرب العراق 2003)، ففي 2003/02/05، أعلن "كولن لوثر باول" وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية أن إعلان الحرب كان بسبب امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل، ومن جهة أخرى نجد أن الحكومة الامريكية تصرح بأن الهدف من الحرب هو تدمير العلاقة بين حكومة صدام حسين وتنظيم القاعدة الإرهابي، أما الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الإبن فقد ادعى أن الحرب على العراق كانت حتمية من أجل تحويل العراق إلى دولة ديمقراطية، في الوقت نفسه الذي جادل بعض الباحثين أن أمريكا كانت تهدف في الحقيقة إلى نهب احتياطات النفط في العراق.

وهكذا فإن الإدارة الأمريكية تميل لاستبعاد العديد من التفسيرات المحتملة الأخرى للحدث، وذلك عن طريق عرض واحد فقط من الأسباب الأكثر ملاءمة، مع مساعدة وسائل الاعلام لها في تحقيق ذلك.

ففي حين يشير الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش لما هو "خير وشر"، مشكلا

بذلك إدراكا للعالم ببعض المصطلحات والمفاهيم، وبالتقنيات نفسها التي استخدمت خلال الحرب الباردة، يجادل الما بعد حداثيون في المقابل بأنه مصطلح أو مفهوم محض وكامل، ولذلك لوجود نقيضه دوما من جهة أخرى، فخلف كل مصطلح دوما هناك أكثر من حقيقة واحدة. تماما كما هو الحال مع حرب العراق، وأحداث هجمات الحادي عشر من سبتمبر على مركز التجارة في نيويورك. فما صرحت به الإدارة الأمريكية للعالم على أنه السبب وراء هذه الأحداث، ليس السبب الوحيد، إذ أن الحكومة الأمريكية تميل إلى تكثيف الاعتماد على بعض التفسيرات فيما يتعلق بهذين الحدثين دون غيرها، وتترك باقي التفسيرات المحتملة الأخرى والتي قد تكون معاكسة تماما للتفسير الذي تقدمه وتصرح به، لذا فلا يزال هناك الكثير من الحقائق خلف هذه الحروب والتي لم يتم كشفها بعد، ولهذا يستعمل ما بعد الحداثيون تقنيات التفكيك للتنقيب عن هذه الحقائق.

- القراءة المزدوجة:

تعتبر القراءة المزدوجة الوسيلة الثانية المستخدمة من قبل ما بعد الحداثيين لقراءة النص بشكل أكثر عمقا، إذ أدركوا أن هناك دوما أكثر من قراءة واحدة لنفس النص. وقد بدأ استخدام ما بعد الحداثيين لهذا الأسلوب في سنوات الثمانينيات من القرن العشرين، وذلك في محاولة منهم لتحليل مختلف جوانب السياسة الدولية، "كإشكالية الفوضى" في النظام الدولي"، وغيرها من المواضيع المهيمنة على نظرية العلاقات الدولية، كما استخدموا هذا الأسلوب أيضا لتفسير الأحداث الدولية آنذاك مثل: حرب كوسوفو، وحرب الخليج.

وتعد كل من القراءة المزدوجة والتفكيك على حد سواء من المنهجيات التي يستخدمها ما بعد الحداثيون في التركيز على النصوص بغرض نفي الحقائق المطلقة، وترجع أصول كلا الطريقتين لدريدا الذي استخدم هذه التقنية، وذلك بإخضاع النص لقراءتين، حيث تكون الأولى مجرد تكرار للنص بالمفهوم السائد

وتوضيح تماسكه واستقراره، والهدف منها البرهنة على الطريقة التي يظهر بها النص والخطاب أو المؤسسة بالمظهر المستقر، ومنها تتوضح الكيفية التي تحقق بها المؤسسة أو الخطاب السائد الهيمنة والاستقرار، في حين تأتي القراءة الثانية كمحاولة لقراءة نفس النص بطريقة أعمق من الأولى والعثور على التناقضات التي لم تكتشفها القراءة الأولى، ذلك أن جميع الأفكار الواردة في النص قد تبدو من خلال القراءة الأولى مستقرة طبيعيا، لذا فاستعمال القراءة الثانية قد تساعد الدارسين فيايجاد بعض الاختلافات، فمنهج القراءة المزدوجة يكشف كيف أن النص لا يحوي فكرة واحدة متماسكة ومستقرة، وإنما يتضمن العديد من الأفكار في نفس الوقت والتي –زيادة على ذلك – قد تكون متناقة. والهدف من هذه التقنية ليس تفكيك النص أو الخطاب السائد من أجل توضيح صحته أو خطئه، ولكن لفضح كيفية اعتماده على قمع التناقضات الداخلية واخفائها للظهور بمظهر التجانس والاستقرار(بن قانة محمد لمين).

فالقراءة المزدوجة تعتبر أداة ما بعد حداثية مفيدة لتوضيح أوجه القصور في اللغات التحليلية السائدة، فعلى سبيل المثال "إشكالية الفوضى"، أو عدم وجود حكومة مركزية مهيمنة تفرض النظام في العالم، فإن هذا المفهوم يقوم على سلسلة من الافتراضات المشكوك بصحتها، والتي لاتخلو من الاستثناءات والاستبعادات.

فالسيادة/الفوضى مفاهيم متناقضة وأحدها يستبعد الآخر لذا يجب تفكيكها. لذا فإننا في مجال التنظير لحقل العلاقات الدولية نجد ريتشارد آشلي قد قام بقراءة مزدوجة لمفهوم "الفوضى" على مستوى الدولة، حيث قدم القراءة الأولى لمفهوم الفوضى الذي يستند إلى تفسيرات النظريات التقليدية للعلاقات الدولية.

كما تعد القراءة المزدوجة أداة مفيدة لتحليل مرحلة ما بعد الحرب على العراق (ما بعد 2003)، وتوضح كيف أن الواقع ليس كما ينظر إليه من قبل

وسائل الاعلام، كما يركز الما بعد حداثيون أيضا على تحليل تفسيرات مختلفة من الأحداث الجارية والشؤون العالمية الأخرى.

ففي الوقت الذي تهيمن فيه اللغات التحليلية التقليدية للمشروع الحداثي في تحليل حرب العراق من زاوية مفاهيم ومصطلحات الواقعية الجديدة، فإن ما بعد الحداثة تستخدم القراءة المزدوجة لجعل الافتراضات المتناقضة التي تقوم عليها هذه التفسيرات واضحة.

- قراءة آشلي المزدوجة لإشكالية الفوضى:

تعد قراءة "ريتشارد آشلي"المزدوجة لإشكالية الفوضى من أوائل وأهم القراءات التفكيكية في دراسات العلاقات الدولية، كما تعد مثالا ملموسا على أسلوب ما بعد الحداثة في استعمال تقنية القراءة المزدوجة، وكان عمله يستهدف بشكل رئيسي مفهوم الفوضى وفهم تأثيراتها على المجالين التنظيري والعملي.و"إشكالية الفوضى" هو المصطلح الذي يطلقه آشلي على فوضوية النظام الدولي والتي تعتبر من أهم النقاط التي تثير الاستفسارات في حقل العلاقات الدولية، فمعظم الباحثين ينظرون إلى الفوضى على أنها الحالة التي تعيشها الأمم نتيجة لغياب سلطة عليا تفرض قيودا على السعي لتحقيق المصالح السيادية، حيث نجد كينيث والتز يتعامل مع "الفوضى" و"الدولة" على أنهما ثنائية متعارضة، كون الدولة تعرف على أنها سلطة مركزية هرمية، والفوضى هي غياب تلك الهرمية، ما يعني أن المنظومة الدولية –بحكم هذا التعريف- ستكون فوضى إلى أن توجد حكومة عالمية. ومع ذلك فقد اقترح بعض الباحثين مثل هيلين ميلنر ، وآخرون حديثا أنه يجب النظر إلىالهرمية-الفوضى على أساس أنهما سلسلة متصلة وليست ثنائية، كما ظهر أيضا الاهتمام بفكرة "الحكم بدون حكومة" ، والتي تبين الطرق التي يمكن بواسطتها يمكن حكم المنظومات الفوضوية عن طريق المؤسسات، ولكن ما ينبغي ذكره أن كل هذه اختراعات مفاهيمية مهمة غير أنها لا تمثل تحديا مباشرا للمعاني التقليدية الهرمية-الفوضى. حيث أن فكرة

السلسلة المتصلة لا تزال تسلم بأن تجاوز إشكالية الفوضى لا تزال ممكنة كلما تم تركيز السلطة أكثر (بن قانة محمد لمين)..

فالفوضى حسب التعبير التقليدي ليست مجرد مفهوم فارغ وإنما هي ناتجة عن غياب سلطة عالمية مركزية، وهي راجعة لطبيعة العلاقات الدولية بوصفها سياسات للقوة حيث تتميز بالمصلحة الذاتية، والسعي الدائم لامتلاك القوة.

ومن هنا جاءت أعمال آشلي وتحليلاته الأساسية لنقد الإشكالية الكامنة أساسا في هذا الاستدلال على فوضوية النظام الدولي. حيث توجد هناك تحليلات كثيرة أخرى إشكالية الفوضى يمكن أن تفهم عن طريق تقنية القراءة المزدوجة.

فالقراءة الأولى تجمع الميزات والملامح الأساسية (النواة الصلبة) للفوضى، في حين أن القراءة الثانية تفكك العناصر المكونة لها، حيث يتبين من خلال هذه القراءة الثانية كيف أن هذا المفهوم يقوم على سلسلة من الاستثناءات (الاستبعادات) والافتراضات النظرية المشكوك فيها. فنجد آشلي يحدد في القراءة الأولى إشكالية الفوضى من حيث مفهومها التقليدي، حيث يفسر سبب فوضوية النظام الدولي بعدم وجود أي سلطة عليا، حيث يتكون هذا النظام من عدد كبير من الدول،والتي لا يمكن أن تخضع جميعها للقانون، وزيادة على ذلك، أما فلكل دولة من هذه الدول مصالحها الخاصة ومواردها وإمكانياتها في القراءة الثانية فيشكك آشلي في دليل الاستدلال في حد ذاته على العلاقة في ثنائية الفوضى/السيادة، واعتبار الفوضوية في النظام الدولي راجعة لطبيعة العلاقات الدولية كعلاقات من سياسات القوة. والهدف الأساسي من هذه القراءة المزدوجة هو كشف التعارض والتناقض في ثنائية السيادة والفوضى، والتي تعتبر السيادة الحل التنظيمي الأمثل للنظام الدولي وتنظر لفوضويته على أساس أنها نتاج أو غياب السيادة، أو أن الفوضى لا تأخذ إلا معنى واحدا بوصفها نقيضا

للسيادة. (بن قانة محمد لمين)..

فبهذا يتم جمع السيادة والفوضى لتكون ثنائية متعارضة، ومع ذلك يوضح كيف تعمل هذه الثنائية من خلال فرضية الدول ذات السيادة، حيث أن الانقسام في ثنائية السيادة والفوضى يعني إيجاد عالم محلي من الهوية والتجانس والقوة المشروعة التي تضمن التقدم والتطور داخل الدول ذات السيادة، أما في الخارج فهناك عالم تسوده الفوضوية والاختلاف وعدم التجانس والتهديد. وهذه الطريقة في تمثيل السيادة والفوضى على شكل ثنائية متعارضة (يستبعد فيها أحد المفهومين الآخر)، تقوم على تحويل الخلافات من داخل الدول ذات السيادة إلى مابين الدول ذات السيادة، ولتحقيق ذلك وجب على هذه الأخيرة القضاء على أي آثار للفوضى يمكن أن يحدثها المواطنون داخلها لضمان حسن التمييز بين السيادة والفوضى، بمعنى آخر فإن جميع أشكال المعارضة أو ما يسميه آشلي "الصراعات المعترضة"، والتي تشكك في يقينية الوحدة والسيادة والهوية، يجب قمعها أو نفيها، وذلك بغرض إعطاء معنى لإشكالية الفوضى، لا سيما وأن التعارض بين السيادة/الفوضى يتوقف على إمكانية حيازة الكيان السيادي ذو الحدود على مركز داخلي مهيمن لصناعة القرار قادر على حل مشكلة الاختلافات الداخلية أي قادر على صنع واتخاذ القرار بشكل فردي. فإشكالية الفوضى والتأكيد على أنها ثنائية متعارضة (أي أن يستبعد وينفي أحد المفهومين الأخر)، له تأثيرات تتمثل في نقطتين: (بن قانة محمد لمين).

الأولى: إظهار المجال الداخلي للسيادة على أنه القاعدة والأساس الشرعي المستقر للمجتمع السياسي الحديث.

الثانية: إظهار المجال ما وراء السيادة على أنه خطير وفوضوي.

وينتج عن هذه التأثيرات ما يسميه آشلي "الاقصاء المزدوج"، أي أن هذا ممكن فقط إلا في حالة واحدة من الاثنتين: إما أن يتم فرض تمثيل فردي لهوية سيادية،

أو أن يترك هذا التمثيل ليظهر بشكل طبيعي لا حاجة للجدال حوله. ثم تطرح القراءة المزدوجة تساؤلات تتطلب حلا حول إشكالية الفوضى تتلخص في سؤالين:

أولا: ما لذي سيحدث لإشكالية الفوضى إن لم يكن واضحا أن الدول الحالية والمكتملة السيادة قد حققت وحدتها فعلا؟.

ثانيا: ما لذي سيحدث لإشكالية الفوضى إذا لم يتم تجاوز مشكل غياب الحكومة العالمية المركزية وبقاء الافتراضات القائمة حول سياسات القوة؟.

ثانيا- أركيولوجيا"السلطة/المعرفة" ونفي الحقائق المطلقة

هل هناك علاقة ـ كما يقترح العنوان ـ بين المعرفة والسلطة، أو بعبارة أخرى: بين العلم والسياسة؟ مبدئيا، يرى الفلاسفة والعلماء أن المعرفة ذات بناء منطقي مغاير لخطاب السياسة. ففي السياسة، يكون الفكر موجها، ليس نحو الحقيقة، بل نحو القوة والسيطرة. وكثيرا ما يقال: في السياسة ليست هناك حقائق، بل مصالح متغيرة. إلا أنه وفي النصف الثاني من القرن العشرين ظهرت توجهات فلسفية وعلمية ترمي إلى إعادة بحث الصلة بين المعرفة السلطة.

وأشهر من طرق هذا الباب المعرفي فلاسفة ما بعد الحداثة مثل ميشيل فوكو وجيل دولوز وإدوارد سعيد وبورديو وبودريار، وعربيا الجابري وأركون ونصر حامد أبي زيد وعلي حرب وغيرهم. وهؤلاء يؤكدون أن الخطاب المعرفي (سواء أكان علميا أو دينيا أو سوسيولوجيا) ليس خطابا بريئا من الاشتغال السياسي والسلطوي. وهؤلاء الباحثون يدينون في آرائهم لفلاسفة سابقين عليهم مثل نيتشه الذي كان يرى أن القوة –وليس الحق- هو ما يحكم العلاقات بين البشر والأمم، وأن المنتصر هو من يؤسس لمفهوم الحق ومن ثم يلصق الباطل بخصومه المستبعَدين كلية من خطاب المعرفة. وتأثروا كذلك بفرويد وماركس وماكس فيبر ودي سوسير (بن قانة محمد لمين)..

1- الحفريات ومناهضة الهيمنة في ثنائية السلطة والمعرفة

تعتبر القراءة الفكرية المعمقة للنص، والغور في عمقه العمودي وطبقاته، منهجا يسمى "الحفريات المعرفية" أو المنهج الأركيولوجي الحفري، وقد ترسخت الأركيولوجيا في العلوم الإنسانية بغرض البحث المعمق في متون الواقع، أو الوثائق التاريخية والنصوص المتوارثة وقراءتها مجددا قراءة مختلفة.

وتمارس الحفريات المعرفية تحليلا ونقدا لمضمون النص تاريخيا ولغويا وفلسفيا ونفسيا وأدبيا في التعامل مع الأثر النصّي الذي يتكامل مع الكتابة على أنها فعل خلّاق ينعكس في العديد من مجالات الحياة، والعلاقات البينية في المجتمع. وقد وضع المفكر الفرنسي ميشيل فوكو أسس المنهج الحفري المعرفي"الأركيولوجي"، ومارسه في أعماله الفكرية، من خلال الحفر في النصوص، لأصناف معرفية مست الخطاب الذي يولد من خلاله الإنسان في علاقته مع الكلمات عبر مختلف الأشكال السلطوية في ممارسة الرقابة أو فرض القمع الفكري، حيث يسلك المنهج في هذه القراءة، الحفر المعرفي، ثم التفكيك والتأويل. وحسب محمد أركون، فإن المنهجية الحفرية الأركيولوجية تبحث عن آليات الخطاب في تشكيل المعنى وتتجاوز منطوق الخطاب للبحث عن مضمراته والكشف عن آليات اشتغاله(بن قانة محمد لمين).

واستطاع ميشال فوكو، أن يَستلهم نيتشه، في حديثه عن القيم والأخلاق، ليتكلَّم عن السلطة، متجاوزًا الطرح المنهجي نحو الطرح الأركيولوجي، من خلال ماعُرف بالـ"جينيولوجيا" أي تاريخ الحقيقة، فهذه الأخيرة تُعدُّ الأداة التي تسمح للفلسفة بأن تلتقي بالتاريخ؛ بجعل الفلسفة تتخلى عن منطلقاتها الميتافيزيقية، والدفع بالتاريخ إلى أن يكون اهتماما بما يحدث فعلا في جميع مستوياته المختلفة ، وقد انطلق فوكو من أرضيّة متحركة لعلاقات القوى، التي تولد دونما انقطاع، وبهذا المنظور، فليست السلطة بالضرورة هي رأس الهرم وحسب، وليست هي نابعة دائمًا من الأعلى، فهي ليست فوقية دائما، بل هي "محيطة" تأتي من كل

صوب، وذلك بسبب أنها متولّدة، تتفاعل في كل لحظة، فالكائن يقع تحت سلطة مكونة من شبكة علائقية من مجموعة سلطات متفاعلة فيما بينها بشكل دائم ومستمر. لذا يؤكد التوجه ما بعد الحداثي

على العلاقة القائمة بين السلطة والمعرفة، مناهضين بذلك الفكرة السائدة والمهيمنة على النظريات العقلانية الوضعية القائلة بأن المعرفة موضوعية ولا تمت بصلة لأعمال السلطة، كما يعارضون فكرة وجود الحقيقة المطلقة التي يدعي العقلانيون إمكانية وجودها بعيدا عن تأثيرات السلطة.

حيث يختلف ميشيل فوكو تماما مع هذه الفكرة، ويجادل على أن المعرفة نتاج السلطة إذ يقول: (بن قانة محمد لمين).

"كل سلطة تتطلب وجود معرفة، وكل معرفة ترتكز على علاقات السلطة القائمة"

«All power requires knowledge and all knowledge relies on and reinforces existing power relations».

أي لا توجد سلطة بدون معرفة ولا توجد معرفة خارج السلطة، وبتالي لا صحة لفكرة وجود معرفة محايدة، ويعيد ستيفن سميث صياغة فكرة فوكو بعبارة أخرى: "كيف يمكن أن يكون للتاريخ حقيقة، إن كانت الحقيقة لها تاريخ؟".

«How can history have a truth if truth has a history ?»

ففي الوقت الذي نجد للماركسية والنسوية ومدرسة التحليل النفسي الفرويدي وجهة نظر تدعم فكرة وجود بعض الحقائق الأساسية عن العالم، فإن ما بعد الحداثة لا تزال على خلاف ذلك مصرة على عدم إمكانية الوصول المباشر للحقيقة، ويذكر"ستانلي غرينز" وجهة النظر هذه في كتابه عن ما بعد الحداثة حيث يقول: (بن قانة محمد لمين).

تؤكد ما بعد الحداثة على أن كل ما نقبل به كحقيقة، وحتى الطريقة

التي نتخيل بها الحقيقة تعتمد على المجتمع الذي ننتمي إليه، ....فلا توجد حقيقة ما عدا تلك الحقيقة النسبية لمجتمعنا. فالحقائق متعددة في التاريخ، تبعًا لتعدد القوى المُشكِّلَة له من جهة، ولنمط العلاقات التي تقوم بين القوى من جهة أخرى. فعندما نتابع، في التاريخ، كيف انتصرت قوة على قوة أخرى، وكيف أنّ إستراتيجية تحكَّمت في صراع القوى، نفهم لماذا تمَّ الرفع من مكانة حقيقة ما، في هذا المنحى، فإن إقامة .واعتبرت صدقًا على حساب ما تمَّ إقصاؤه على أنه خطأ تاريخ للحقيقة، انطلاقا من صراع القوى، ما كان ليتم لولا اكتشاف فوكو للربط أو ما يسميه "الحدث الأركيولوجي" وبهذه المعاني المتقدمة ستتخذ إشكاليات السياسة والسلطة والحقيقة والمعرفة، معاني أخرى، فلن تعود المسألة تحديد مواقع الحقيقة والسيادة الطبقية، بل إن مفهوم الحقيقة ذاته سيصبح عبارة عن مجموع الاستراتيجيات والعمليات التي يتم بفضلها إنتاج العبارات وتوزيعها وتداولها ، فالأمر لا يتعلّق بتحديد منهج الوصول إلى الحقيقة، وإنما بتحديد تلك، فالأركولوجيا لا تعني الانتصار لقيمة الجهات التي تنتمي إليها هذه الحقيقة أو على قيمة أخرى، وإنما البحث في قيمة القيم وتحديد نظام الخطاب وسياسة الخطاب وسياسة الحقيقة .

2- منهج التحليل الجينيالوجي

قدم ميشيل فوكو في نص كتابه "يجب الدفاع عن المجتمع" نوعا من التحليل التاريخي لظهور السلطة، وهذا التحليل التاريخي هو عبارة عن منهج "جينيالوجي" استعمله في مقابل المنهج الأركيولوجي الذي اعتمده في كتبه السابقة خاصة تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي 1961، والكلمات والأشياء 1966، ويعرفه بقوله:(ميشال فوكو ، 2003، ص16) .

"إن الجانب الجينيالوجي من التحليل يهتم بسلاسل الصياغة الفعلية للخطاب، وهو يحاول وضع اليد على سلطة الإثبات، وأنا لا أعني بسلطة الإثبات تلك

السلطة التي تتعارض مع سلطة الأفكار، بل أقصد سلطة إنشاء ميادين من الموضوعات يمكن أن تنفي قضايا صادقة وأخرى كاذبة".

وقد أخذ تأريخ فوكو للحقيقة اسم الجينيالوجيا،حيث تعد هذه الأخيرة الأداة التي تسمح للفلسفة بأن تلتقي بالتاريخ؛ بجعل الفلسفة تتخلى عن منطلقاتها الميتافيزيقية، والدفع بالتاريخ إلى أن يكون اهتماما بما يحدث فعلا في جميع مستوياته المختلفة. من هنا تظهر الجنيالوجيا كوسيلة لتقويض الميتافيزيقا باعتبارها إنتاجا للحقيقة، من خلال نقد منطلقاتها، وإعادة النظر في الأساس المفاهيمي الذي تستند إلى الثنائيات. ولعل أهمية البحث الجنيالوجي، كتقويض للميتافيزيقا، تظهر في وصفه للواقع الإنساني، كواقع يتشكل من الصراعات والمصالح، ومن ثمة الهيمنة، والرغبة في التملك. ومن المهم فهم فكرة الجينيالوجيا خاصة وأنها ذات أهمية كبيرة في المنظور ما بعد الحداثي في العلاقات الدولية، والجينالوجيا ببساطة هي أسلوب من الفكر التاريخي الذي يسجل ويعرض أهمية تأثير علاقات السلطة-المعرفة(ميشال فوكو ، 2003، ص17)

ويعد استخدام فريدريك نيتشه، وميشيل فوكو للمنهج الجينيالوجيمن أشهر الاستخدامات لهذا المنهج،لذا فعندما تذكر مقاربة ما بعد الحداثة في العلاقات الدولية مصطلح الجينيالوجيا فإنها تشير بصورة عامة إلى أعمال ميشيل فوكو، والذي استعار الفكرة من فريدريك نيتشه، وقد أصبح المنهج الجينيالوجي منهجا مستخدما في نظرية العلاقات الدولية بعدما قدمه ريتشارد أشلي في منتصف الثمانيات، ثم لاحقا من طرف العديد من الباحثين في هذا المجال، حيث استخدموه في الاسهامات الأخيرة في نظرية العلاقات الدولية.

وغالبا ما يستعمل مصطلح الجينيالوجيا على نطاق واسع بشكل خاطئ وغير دقيق للإشارة إلى تاريخ أي مفهوم أو ممارسة اجتماعية، ذلك أن مفهوم فوكو للجينيالوجيا محدد بشكل واضح، فهو يحاول لفت الانتباه إلى مشكلة محاولات تأريخ الأفكار، فبالنسبة لفوكو فالتاريخ هو دائما "تاريخ من الحاضر"، إذ أنه

مكتوب حتما من منظور الوقت الذي كتب فيه، فهو ينظر إلى الماضي من منظور الحاضر، فالجينيالوجيا ترسم تاريخ الحاضر، غير أن هذا لا يعني أنها تنظر إلى الحاضر على أنه دائما مرحلة نهائية بشكل مستمر. بل يسمى بالتاريخ الحاضر لأنه يكشف الممارسات الخطابية الحالية، وهو يساعدنا على فهم أوضاعنا الحالية عن طريق كسر وحدته المحفوظة بشكل مصطنع أي يتصنع الطبيعية، لذا يمكن أن ندرج تعريفا للجينيالوجيا كما يشرحها رونالد بليكر الذي يرى بأن "الجينيالوجيا تركز على العملية التي من خلالها يتم إعطاء تصور عن الماضي، هذه التصورات التي أصبحت توجه حياتنا اليومية باستمرار وتضع حدودا واضحة للخيارات السياسية والاجتماعية"، وهي شكل من التاريخ الذي يؤرخ لتلك الأشياء التي يعتقد أنها كانت ماوراء التاريخ، بما فيها تلك الأفكار التي دفنت وتمت تغطيتها أو استبعادها من العرض أثناء كتابة التاريخ. (بن قانة محمد لمين)..

فالجينيالوجيا أكثر بكثير من ان تكون مجرد الكشف عن الحوادث التاريخية في ترتيب زمني تقليدي، بل هي بدلا من ذلك "تاريخ كيفية بناء المعنى". فالتاريخ –من وجهة نظر جينيالوجية- لا يعتبر دليلا على الحقيقة والمعنى أبدا، وبدلا من ذلك فهو عبارة فقط عن مراحل متكررة ولا نهائية من لعبة الهيمنة حسب فوكو، لذا فإن حصيلة التاريخ ليست إلا سلسلة من الهيمنات المفروضة في المعرفة والسلطة، ومهمة الجينيالوجيين هي تفكيك وتقويض التاريخ للكشف على المسارات المتعددة التي تم تعزيزها والاغلاق عليها في دساتير من الأشياء والمواضيع ومجالات العمل والمعرفة. وزيادة على ذلك ومن وجهة نظر جينيالوجية ثانية فإنه لا وجود لتاريخ واحد كبير، بل هناك العديد من التواريخ متشابكة ومتباينة ومختلفة في رتابتها وتواترها ومقدار تأثيرات السلطة-المعرفة فيها. فالجينيالوجيا تؤكد على المنظور الذي ينفي القدرة على تحديد الأصول والمعاني في التاريخ بموضوعية والمنهج الجينيالوجي في نفيه لجوهر الأشياء يؤكد على فكره أن كل معرفة قد نشأت في مكان معين وفي زمن معين وبذلك تكون قد شكلت قضايا لمنظور معين أيضا. لذا فموضوع المعرفة راجع إلى ظروفها وسياقها السياسية

والتاريخي ولا توجد معرفة أبدا ليس لها ظروف، وحسب نيتشه: هناك أكثر من منظور للعالم الحقيقي، وكل منظور يجسد مجموعة من القيم(بن قانة محمد لمين)..

وهناك ثلاث مبادئ أساسية يتبعها الجينيالوجيون:

أولا: التحليل الجينيالوجي لا يبحث عن استمرارية أو حركة تاريخية ترمي للوصول إلى هدف واحد أو إلى نهاية للتاريخ، حيث تؤكد الجينيالوجيا بدلا من ذلك على الطابع العرضي للأحداث التاريخية، أو على حد تعبير فوكو "يجب سرد الأحداث التاريخية بفردية خارج أي رتابة نهائية"؛ وهكذا فالجينيالوجيا تفسر التاريخ عن طريق ثغرات أو أحداث عرضي بدلا من فهمه على أساس أنه استمرارية تؤدي إلى هدف معين نهائي.

ثانيا: الجينيالوجيا لا تبحث عن أصل يجسد جوهر الأشياء، وبدلا من ذلك، فهي تبدأ من الافتراض بأن السر وراء الأشياء أنه لم يكن لها جوهر واحدا وحسب تعبير فوكو: "لايوجد في أصل الشيء هوية موحدة له وإنما هناك فوارق واختلافات". وتستند الجينيالوجيا على فرضية أن الواقع ليس ببساطة واجهة متماثلة وموحدة، ولكنه مبني من طبقات متعددة متداخلة متشابكة بعضها ببعض.

ثالثا: الجينيالوجيا عبارة عن أسلوب لا يركز على الشيء في حد ذاته بل تركز على كل الظروف التي تحيط به وتؤثر عليه، وبهذا فهي في النهاية تركز على شيئين بدلا من موضوع واحد في حد ذاته. وهذا المعنى للجينيالوجيا يختلف عن جينيالوجية نيتشه حيث أن هذه الأخيرة كانت تهدف إلى البحث عن أصول ما قد

تم تأسيسه، أما المعنى السابق فه عبارة عن عملية اكتشاف للظروف العرضية المحيطة بتأسيس حدث ما.

وفي كتابه "عن الدبلوماسية" يستخدم جيمس دير دريان الجينيالوجيا بكثرة وبمختلف تفاصيلها، وفي فصل "البروتوكولات السياسية" يقول: (بن قانة محمد لمين).

> " السؤال المركزي في هذا الفصل ليس كيف أثرت أعمال أوغسطين على سياسات شارمان؟، وإنما كيف مكنت مجموعة من النصوص، والقواعد، والسلطة السياسية من ظهور أولى مؤسسات البروتوكولات الدبلوماسية".

ويتضمن كتاب دير دريان تسجيلا لسلسلة من التفسيرات لعلاقات السلطة المركزية، وهي ليست مجرد سلسلة دراسات ذلك أنها تسعى لكشف تلك الألاعيب التي تتصنع الطبيعية في خلق النظام من ظروف فوضوية. وكما يرى فوكو فالتحليل الجينيالوجي يرغب في كشف كيف أن قواعد كل نظام مهيمن تأسست من تعابير مؤقتة فقط كانت تسعى لفرض هيمنة معينة. لذا، ووفقا للمفاهيم السابقة، فإن الأحداث تكتسب صفة الحقيقية ليس لأنها وقت فعلا بالضرورة، ولكن لأنها أصبحت مذكورة باستمرار وأصبحت محل سرد ، والسرد ليس أكثر من مجرد إعادة عرض لبعض الأحداث السابقة، ومن الوسائل التي يمنحها هو اضفاؤه صبغة الواقع على بعض الاحداث، لكن للروايات والسرديات التاريخية أيضا مهام سياسية حيوية في الوقت الحالي، حيث يمكن استخدامها كموارد في الصراعات السياسية.

ولعل ما يسمى بأحداث الحادي عشر من سبتمبر خير مثال على ذلك حيث تعتبر أفضل طريقة للنظر إليه كعمل إرهابي، أو عمل إجرامي، أو عمل من اعمال الشر، أعمال الحرب، اعمال الانتقام، وأفضل من ذلك ربما من حيث

الفكر كمثال عن صدام الحضارات، او غيرها من الافتراضات الأخرى التي قد تكون سببت هذا الحدث. لكن السؤال المطروح هو: هل فعلا بدأت أحداث الحادي عشر من سبتمبر على الساعة 8.45 صباحا عندما اصطدمت الطائرة التابعة للخطوط الجوية الأمريكية بالبرج الشمالي لمركز التجارة العالمي؟ أم على الساعة 7.59 صباحا عندما أقلعت الطائرة من بوسطن؟ أم عندما بدأ المهاجمون التخطيط والتدريب على الهجوم؟، أم أن أحداث 9/11 بدأت قبل هذا الوقت بكثير، حيث جاء الهجوم كرد فعل على السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط؟. فهذه الأسئلة تظهر كيف أن أحداث 9/11،تأسست على شكل سرد، ولا يمكن تفسيرها بمعنى عادي. وأفضل تحليل جينيالوجي هو ذلك الذي قامت به" ماجا زاهفاص"، حيث تحدى هذا التحليل تلك الفرضيات القائمة على العلاقة بين أحداث 9/11، والحرب على الإرهاب كسبب ونتيجة.

وعموما يمكن تلخيص انطولوجيا ما بعد الحداثة في العلاقات الدولية فيما يلي:

- النص *le texte* : يعتبر وحدة تحليل مهمة في المشروع المابعد حداثي، بحيث ان باحثي العلاقات الدولية سيبدؤون تحليلاتهم انطلاقا من نصوص السياسة الدولية وليس من مفاهيم مجردة ومستقلة عن الباحثين.
- الفواعل: ينتقدون التركيز على أن الفواعل هي مركز التحليل وهي مركز المعرفة، وفاعل مستقل وذو سيادة (تصور حداثي)، والفاعل يتموقع بالنظر الى الأيديولوجيا، السلطة، الخطاب، اللغة، واللاوعي.
- الخطابات: *Le discours* في المشروع المابعد حداثي تعتبر خطابات السياسة الدولية هي منطلق التحليل الاساسية.

3-النظرية النسوية في العلاقات الدولية:

استعمل فورييه"اصطلاح النسوية "*féminisme* عام 1860 ، ثم وظفت في إنجلترا عام 1890 بمضامين نضالية للنساء مقارنة بالرجل في الحقوق، وعاد في الثلاثينات والستينات وازدهر في فرنسا في السبعينات.

ظهرت في البداية كحركة نضالية لتحقيق الحقوق، وأكاديميا تأسست في السبعينات اللجنة "النسائية للعلوم السياسية" عام 1971 وقدمت أول الأبحاث حول "الجندر"، وفي التسعينات قدمت عدة أبحاث وكتب حول الجندر للاجتماع النسوي الذي عقدته الرابطة الأمريكية للعلوم السياسية عام 1991، ونشرت مجلة *Women and Politics* عام 1991 (24 مقالا، و21 ملخصا لكتاب تعلقت بالتنطير النسوي ...)، وفي التسعينات تم انشاء "شعبة النظرية النسوية ودراسات الجندر"*Feminist theory and gender studies* في جمعية الدراسات الدولية .

النسوية وتقويض أسس العلم الذكوري:

تنطلق أطروحة النسويون من قناعة مفادها أن عالم المعرفة كان متحيزا للذكورية (تم إغفال الأدوار والنشاطات النسوية) ، وبتعبير ايمانويل والرشتاين: " لقد حدث تجاهل كلي لوجهة النظر النسوية "، وينتقل الاتجاه النسوي من دراسة النساء كموضوع للمعرفة إلى اعتبارها ذاتا قادرة على إنتاج المعارف . وعملت النسوية على جبهتين:

- مراجعة الأسس الفكرية والفلسفية و الايبستيمولوجية والمنهجية التي قام عليها الفكر الغربي وكشف مواطن التحيز.
- تقديم بديل عن العلم الذكوري بشرط ألا يكون أنثويا.

الخلفية الفلسفية للنظرية النسوية في العلاقات الدولية:[9]

بدأت التوجهات النسوية مع نقد أطروحة العقل الذكوري الذي سيطر على الفلسفة منذ اليونان ، وهنا نجد كتابات "لويس إريفاري" التي تتبعت تطور الفلسفة وقالت بأنها تعاني من ذكورية شديدة جعلت من عقل الرجل الوحيد القادر على معرفة الحقيقة، وكذلك كتابات "حنفيف لويد *G.lloyd* خاصة كتابها: "رجل العقل: الذكر والأنثى في الفلسفة الغربية" عام (1984) ، وفيه أقرت أن العقل من أرسطو إلى غاية العصر الحديث بقي متحيزا للمفهوم الذكوري. (الفلسفة عكست خبرة ذكورية خالصة لأن الرجال استأثروا بها).*

عموما المركزية الذكورية وضعت النساء بين موقفين:

- إما الحديث كالرجال فيتنكرن لأنوثتهن.
- أو يتحدثن كنساء فيوصفن باللاعقلانية.

ايبستيمولوجيا النظرية النسوية في العلاقات الدولية :

- يصنف التوجه النسوي ضمن التوجه النقدي الذي يرفض الحداثة فكريا، والوضعية ايبستيمولوجيا، والتجريب منهجيا.
- المعارف السابقة ذكورية المنشأ، لذلك تعكس وجهة نظر فئة معينة من المجتمع لذلك لا تمثل ولا يمكنها أن تدعي الحقيقة.
- الممارسة العلمية هي نشاط اجتماعي لا يمكن الفصل فيها بين الذات العارفة وموضوع المعرفة، لذلك يجب جندرة هذه الفكرة ليصبح جنس العارف يلعب دورا كبيرا في نوع المعرفة التي نحصل عليها، وهذا ما عبرت عنه *Evelyn fox keller* بسؤلها: إلى أي حد ترتبط طبيعة العلم بفكرة

لقد تمت الاستعانة في هذا الجزء بكتابات الدكتور عديلة محمد الطاهر خاصة رسالة دكتورته التي مسحت تطور حقل العلاقات الدولية،

* - وكذا كتاب داريو باتيستيلا الذي رافق الأستاذ في كامل مراحل تدريسه للمقياس لما يحمله من دقة وعمق في عرض النظريات.

الذكورية، وما هي الانعكاسات على العلم لو أنه لم يكن مرتبطا بعالم الرجال؟، وكيف أثرت الطبيعة الاجتماعية الذكرية والأنثوية في طبيعة إنشاء العلم وفي إنتاج النظرية العلمية؟

حسب طرحها يجب أن يكون العلم مشروعا إنسانيا وليس ذكريا؟، كما يجب التخلي عن الفصل بين العمل الذكري والعمل العاطفي الذي يبقي العلم كميدان خاص بالرجل؟

- في عام *1981* طرحت لورين كود L code في مجلة ما وراء الفلسفة سؤالا مهما: هل جنس العارف مهم من الناحية الايسمولوجية؟، وأجابت أن المدرسة الوضفية تجيب بالنفي أما التوجهات النقدية والراديكالية فتجيب بالإيجاب وتجيب L code بأن الجنس العارف يحدد نوعية المعرفة وطبيعتها. (العارف مسؤول عما يعرفه) . (المرأة⟸ المعرفة ترتبط بالأخلاق ⟸ لذلك تؤدي إلى الحرية والمسؤولية والفضائل ... وهذا ما افتقدته المعرفة العلمية الذكورية بدعوى الحيادية والموضوعية).

منهجية النظرية النسوية:

- اعتمدت النسوية ايبستيمولوجيا ما بعد وضعية، ولذلك ابتعدت عن التجريب والأحادية المنهجية، كما ابتعدت عن مقولة أن المنهج العلمي هو الطريق الوحيد للمعرفة مثلما سلمت به فلسفة الحداثة. ولذلك اعتمدت منهجيا على تعدد المناهج.
- تجادل *Anne Tickner* بأنه لا يوجد منهج بحث واحد عند النسويين ولذلك يستخدمون مناهج بحث مختلفة (الأثنوجرافيا، البحث

الإحصائي، تحليل الخطاب، دراسة الحالة ...)، وما يوحدهم أكثر هو الإطار المنهجي المتميز الذي يتحدى بشكل أساس الانحياز والهيمنة الذكورية على المعرفة.

- اسهام النسويين المنهجي يتمثل في ربط فلسفة العلم بفلسفة الأخلاق، والقضاء على الانفصال بينهما تحت تأثير الوضعية، فالخيار المنهجي والايبستيمولوجي هو خيار أخلاقي مسؤول.

التحليل النسوي في العلاقات الدولية:

بدأت التوجهات النسوية في العلاقات الدولية مع نهاية الثمانينات، أي مع النقاش الثالث وما يسميه Josef Capid بعصر ما بعد الحداثة، ولذلك فأغلب الطروحات النسوية تصنف ضمن التوجه ما بعد الحداثي، ويحاول التوجه النسوي بحث مكانة النساء في العالم، وكذا التساؤل حول "ذكورية علم السياسة والعلاقات الدولية" بتعبير Pettman الذي قال بان حقل العلاقات الدولية هو من أكثر الفروع الدراسية ذكورية.

ولذلك يهتم النسويون بتوسيع التحليل النقدي وعملية التنظير لتشمل مفاهيم مثل (العرق، الطبقة، الجندر، الجنوسة، الهوايات)، كما أن النظرية لا تتوقف عند مستوى التفسير بل تتجاوزه لصالح إعادة تكوينه وتشكيله (بناءالواقع) وفق ايبستيمولوجية تكوينية وغير وضعية.

وحسبهم فان البحوث في السياسة الدولية خضعت لاقصاء النساء ولهيمنة الذكورية وهذا ما تثبته الملاحظات التالية:

- مقولات رجال الدولة، صناع القرار،المحاربين، اللاجئين...كلها مقولات بدلالات ذكرية.

- وضع النساء في دائرة مغلقة في النشاطات السابقة .
- كما أن التجريدات المختلفة (الدولة، المصلحة الوطنية...) تخفي ذكورية شديدة (التنافس، القوة، الأمن ...)

الجندر أساس المشروع النسوي في العلاقات الدولية:

يسيطر على البحوث الاهتمام بالنشاطات التي تقع تحت هيمنة الرجل (الذكور) وبالتالي إضافة مواضيع جديدة لأجندات البحوث في العلاقات الدولية، وحسب "بيترسون" فإنه من الضروري التمييز بين الجنس والجندر، الجنس معطى بيولوجي ولذلك ظهرت ثنائية (ذكر/أنثى) في حين أن الجندر هو بناء تاريخي واجتماعي (ليس معطى طبيعيا)، إنه ليس خاصية للأفراد وإنما خاصية بنيوية مؤسساتية للحياة الاجتماعية⇐ (كل الحياة الاجتماعية مجندرة *Gendered*).

فلسفة الجندر: التقسيمات والأدوار والتصورات والأفكار المتعلقة بنظرة الرجل والأنثى لنفسيهما، ونظرة كل طرف للأخر هي من صنع المجتمع وثقافته وأفكاره السائدة، (مصطنع) ⇐ ولذلك من يمكن تغييره وإلغاءه تماما.

تقليديا ربط القوة بالرجل، العنف، العقلانية، المرأة بالسلبية والعاطفية واللاعقلانية، وحسب النسويون فهذا التصنيف غير مقبول لأن هذه الصفات غير طبيعية وإنما تأسست كهويات وكبناءات اجتماعية (أنت قوي لأن البعض قال ذلك وضعيف لأن البعض ردد ذلك واراده ...) لذلك فالنسويون ينتقلون من دراسة الجنس إلى دراسة الجندر.

- **تعدد التوجه النسوي:**

هناك من يقول بوجود عدة مقاربات نسوية (ليبرالية ماركسية، راديكالية تجريبية ...)، وعموما يشتركون في:

- مراجعة القصص التي تحدثت حول العلاقات الدولية.
- إعادة النظر في الحكايات الكبرى التي سردت حول الحرب والسلم.
- التركيز على إعادة تقسيم دور ومكانة المرأة والتنمية في النظام الدولي ومكوناته.

ويقول ستيف سميث وباتريسا أوينس بتقسيم خماسي للمقاربات النسوية: (النسوية الليبيرالية، الماركسية، وجهة النظر النسوية، النسوية ما بعد الحداثية، ما بعد الكولونيالية).

- النسوية الليبيرالية : يجب العودة إلى مضمون الحرية الفردية والتساوي بين حرية الرجل والمرأة ⟸ أين كانت النساء.
- النسوية الماركسية: مكانة المرأة حددت نتيجة الطابع المادي والرأسمالي الذي همش النساء.
- وجهة النظر النسوية: يركز هذا الاتجاه على حكاية التاريخ وفق تجارب النساء حول السياسة.
- النسوية ما بعد الحداثية: تقوم على محاربة مفهوم وتصور حكاية الرواية الصحيحة الوحيدة، أو ما يسمى بالمنظور العالمي كما يحاربون التقسيم الثنائي (ذكر أنثى) لأن هدفه هو تكريس وجهة نظر ذكرية، ويعارضون التوجه الوضعي .

النسوية ما بعد الكولوينالية:

ينتقد المابعد كولونيانيون النسويون الليبيراليون بحجة أنهن لم يستوعبن وضع النساء في الدول المتخلفة ودول الجنوب ، فوضع النساء وبالتالي مطالبهم ومخاوفهم ليست نفسها في كل مناطق العالم، وبالتالي فإن وضع

النساء في الدول التي خضعت للاستعمار هو جزء من المشكلة العامة لدولهن (مشكلة متعلقة بالرجل والمرأة على السواء)، والهم المشترك هو التحرر من الاستعمار، وحسب هذا التوحد فإن الغرب ببحثوه يستمر في إتمام مهمة الاستعمار في شكله الثقافي والمعرفي يولخص *Jones Adam* أهداف المقاربة فيما يلي:

1- من ناحية موضوع التحليل، كل المقاربات النسوية ترتكز على النساء كفواعل تاريخية وسياسية.

2- من ناحية كيف يديرون تحليلاتهم، فإن كل النسويين يتقاسمون الأساس الايبستيمولوجي بالرجوع إلى خبرة النساء.

3- من ناحية وجهة نظر معيارية، كل النسويون يؤكدون أن النساء وصفة "مؤنث" قد شكلت تاريخيا مجموعات ووجهات نظر فقيرة، غير ممثلة، وغير متعرف بها، وعليه فإنه هناك حتمية للتغير نحو قدر ممكن من المساواة مع الرجال.

المحور السابع:

المشروع البنائي في العلاقات الدولية:

حسب توصيف روبارت كيوهان كان موضوع النقاش الرابع في العلاقات الدولية في الثمانينات بين توجهين أساسين:

- التوجه الوضعي.
- التوجه ما بعد وضعي.

وعموما تأسس التوجه ما بعد وضعي على أربع معطيات فكرية أساسية:

1- ايبستيمولوجيا: التشكيك في التوجه الوضعي للمعرفة ونقد إمكانية بناء فرضيات تختبر تجريبيا حول العالم الوضعي والاجتماعي.
2- منهجيا: ترفض هيمنة منهج علمي واحد وتدعوا إلى تعدد المناهج.
3- أنطولوجيا: التشكيك في المفاهيم العقلانية للطبيعة والأفعال الإنسانية، وتدافع على فكرة البناء والتشكيل الاجتماعي لهويات الفواعل *Identité des acteurs*، وكذا أهمية الهويات في تشكيل المصالح والأفعال.
4- معياريا: تنفي إمكانية التنظير المحايد قيما *théorisation axiologiquement neutre* وتدعوا إلى نزع وتفكيك بني الهيمنة *Structures de domination*. *(Dario pp267-268)*

ورغم هذه الانتقادات القوية للموروث المعرفي الوضعي إلا أن التوجه الما بعد وضعي بالغ في النقد على حساب التأسيس "لخلفية تحليلية قوية"، ومع ذلك دافعت على أنطولوجيتها الخاصة، أنطولوجيا البناء الاجتماعي للواقع والحقيقة *la construction social de la réalité* وهذا ما يمكنه أن يمثل "تحليل بديل للعلاقات الدولية":

وهو ما سيكون موضوع الاهتمام البحثي للعديد من طلبة العلاقات الدولية خاصة الذين عايشوا الظرف التاريخي للثمانيات لان الثمانينات عرفت تراجع الطرح الواقعي الجديد لأنه أغفل إمكانية التحول في صيغة النظام الدولي وفي حقل الدراسة، ونفس الشيء بالنسبة إلى التوجه النقدي وخاصة الما بعد حداثي لأنه يعتبر بأن هذا التحول هو مجرد خدعة من خدع الدولة. *Ruse du pouvoir*.

يتأسس المشروع البنائي على:

- مناهضة الما بعد وضعية ايبستيمولوجيا: يؤمنون بوجود الظاهرة الاجتماعية وإمكانية دراستها من طرف الباحثين.
- مناهضة الوضعيين انطولوجيا: فالفوضى ليست معطى مادي بحت لان المادية تعرف من خلال الإدراك المعنوي لها (مثاليين دور القيم).

حسبهم: يجب الابتعاد عن الايبستيمولوجية الما بعد وضعية التي تقول بعدم وجود حقيقة او واقع خارج اطار النظرية التي تدرسها، (فالواقعية مثلا لا تنفصل عن واقع السياسة الدولية).

كما يجب الابتعاد عن الانطولوجيا الوضعية القائلة بالخاصية النسقية للفوضى والمصالح الوطنية (الثبات) ، لأن القطبية في النظام الدولي لم تمنع الاتحاد السوفياتي من الإصلاح وإعادة صياغة مصالحه الوطنية لتنتهي الحرب الباردة.

لذلك فالمشروع البنائي يحاول المزاوجة بين: الايبستيمولوجيا الوضعية (الواقع الاجتماعي موجود وإمكانية الدراسة العلمية للظواهر). والانطولوجيا ما بعد الوضعية (الحقيقة/ الواقع ليس موضوعيا (معطى سابقا)، وليس ذاتيا (نتاج الخطاب) ولكنه تذاتانيا *Intersubjective* أي هو نتاج تقاطع ادراكات الفواعل، وهذا ما يمثل التركيبة التحليلية التي تقترحها البنائية.

- مقارنة بالنظريات ما بعد الوضعية (النقدية، ما بعد الحداثة، النسوية) فإن المقاربة البنائية تعتبر هي طريقة لدراسة العلاقات الاجتماعية انطلاقا من فرضية أساسية وهي أن:

"الكائنات الإنسانية هي كائنات اجتماعية".

Les êtres humains comme êtres sociaux(.Dario, p270

وفي العلاقات الدولية ترتكز على ما يسميه *John Searle* " الأفعال الاجتماعية" Faits sociaux بمعنى أن الأشياء، النقود، السيادة، الحقوق، ليست حقائق مادية بحتة، وإنما توجد لأن مجموعة من الأشخاص يعتقدون بأنها موجودة ويتصرفون نتيجة هذا الاعتقاد، ولذلك فإن البنائية ليست نظرية للسياسة الدولية بقدر ما هي نظرية اجتماعية يمكن أن تؤسس لنظريات حول السياسة الدولية، وهي بذلك عبارة عن مقاربة اجتماعية للعلاقات الدولية.

الماركسية في العلاقات الدولية:

المرجعية الفلسفية للاتجاه الماركسي للتنظير في العلاقات الدولية

يرتبط الاتجاه الماركسي في تحليل العلاقات الدولية بمرجعية فلسفية على قدر كبير من العمق. تتمثل هذه المرجعية في ما يعرف بالمادية الجدلية، وهي تعود ، وبدرجة أقل وضوحا، (1818-1883)إلى عالم الاجتماع والاقتصاد كارل ماركس الذي ساعده في تحرير "البيان (1820-1895)رفيق دربه ومعاونه فريديريك إنجلز الشيوعي ". غير أنها (المادية الجدلية) في الواقع لم تكن ابتكارا خاصا به، بل تعود إلى تأثره بالتراث الفكري الهائل لأستاذه جورج فريديريك هيجل.

ويمثل الفيلسوف لودفيج فيورباخ همزة الوصل بينهما، لأنه أو ل من وضع تفسيرا ماديا للجدلية الهيجلية. حيث "تصور تاريخ العالم، ليس على أنه مظهر لتطور العقل أو الروح كما قال هيجل، بل على أنه مظهر لتطور المادة. وقد ارتبط ماركس بهذا الفيلسوف ارتباطا قويا، ولكنه وقع في نفس الوقت تحت تأثير المادية العلمية [وليدة عصره آنذاك]، وهو ما يفسر حماس ماركس للعلم، وعقيدته العميقة الساذجة في التقدم وتعاطفه مع مذهب التطور الذي قدمه دترون. وقد أخذ فلاديمير أوليانوف (المعروف باسم لينين) بنظريات ماركس وإنجلز وصاغها في إطار نظام شامل انتهى إلى أن أصبح يعرف بالماركسية اللينينة. وقد مثلت هذه

الأخيرة العقيدة الرسمية والثابتة للحزب الشيوعي السوفيتي (خلال النصف الثاني من القرن الماضي)، خاصة بعد حالة القدسية التي أضفاها عليها جوزيف ستالين. وتجدر الإشارة إلى أن جميع النقاشات التي عرفتها الفلسفة الروسية خلال تلك المرحلة ظلت دائما في حدود هذا الاتجاه ولم تخرج عنه، "كما أنها لم تمس أيا من القضايا الرئيسية للنظام الفلسفي الذي أقره ستالين". لدرجة أن تاريخ الفلسفة لا يذكر أسماء أي من الذين ألفوا كتبا أو مقالات في الفلسفة الماركسية، لأنهم لم يكونوا يفعلون شيئا إلا ترديد وتأكيد مقولات، ماركس ولينين. (محمد حمشي)

منطلقات "المادية الجدلية":

تستند "المادية الجدلية" إلى مجموعة من المنطلقات فيما يتعلق بتصورها للواقع الاجتماعي:

1-الطبيعية: الإنسان ليس إلا "جزءا" من "كل"، هو الطبيعة. وتنكر المادية الجدلية بصفة عامة أن يكون الإنسان كائنا مميزا عن الكائنات الطبيعية الأخرى.

2- التجريبية: الاعتقاد المطلق في السلطة العليا التي تمتاز بها العلوم الطبيعية، وعلى ذلك، فالواقع لا يمكن إدراكه إلا بمناهج علوم الطبيعة، وما لا تدركه تلك المناهج لا يكون إلا مشكلة زائفة، ولا يكون له بالنتيجة مغزى أو أهمية.

3-العقلانية: التمسك بالاتجاه العقلاني، ومن ثم الاعتقاد المطلق في قيمة وأهمية المناهج العقلية والتحليلية.

1- النظريات الماركسية التقليدية:

- كارل ماركس والتنظير العلاقات الدولية

تقوم تحليلات كارل ماركس حول الرأسمالية على مجموعة من المقولات الفلسفية العامة، تتمحور أغلبها حول نظرته للتاريخ الاجتماعي، حيث يرى أن هذا التاريخ لا يتعدى كونه حركة مستمرة وفي اتجاه واحد لتحقيق مزيد من التقدم والانعتاق الإنساني، وأن أي تحول اجتماعي في التاريخ إنما يتم من خلال آليات الصراعات الطبقية داخل المجتمع. خلاصة هذا التصور هي مقولته الشهيرة في "البيان الشيوعي": "إن تاريخ المجتمعات حتى الآن ليس سوى تاريخ صراع الطبقات". كما بين ماركس أن طبيعة العلاقات الاجتماعية (العلاقات بين الطبقات) تؤثر بشكل مباشر على طبيعة قوى الإنتاج في المجتمع.

لقد استغرق ماركس جزءا معتبرا من حياته العلمية في دراسة القوانين التي تولد وتحرك نمط الإنتاج الرأسمالي، وذلك من خلال فحص الظروف التاريخية التي أدت إلى بروز الرأسمالية في أوروبا، وطبيعة العلاقات الطبقية التي تتحكم في عمله وصيرورتها التاريخية. ومن هنا جاءت إدعاءاته القوية حول استنتاجه بأن

هناك خللا في البنية الجوهرية للنظام الرأسمالي يمنعه من الاستمرار تاريخيا، وبذلك فهو لا يمثل إلا مرحلة تاريخية تمهيدا لنظام اجتماعي "أكثر استقرار وعقلانية وإنسانية".

تكمن الأهمية العلمية للقوانين الماركسية في فهم الرأسمالية في قدرتها – إذا تم تعميمها – على الكشف على القوانين [التاريخية] الخاصة التي تتحكم في بروز وتطور وسقوط أي تشكيل اجتماعي والتنبؤ ببديله الذي [يفترض جدليا أن] يكون أرقى منه تنظيما لقوى وعلاقات الإنتاج.

تاريخيا، لم يتسن لكارل ماركس أن يسقط منطقه الجدلي على دراسة المجتمعات غير الأوربية، والوصول – من ثم – إلى الكشف عن أبعاد التوسع الرأسمالي على المستوى العالمي. وبذلك فقد كان من اللازم انتظار إسهامات فلاديمير لينين الذي ارتبط تفكيره بماركس، حيث أصبحت الماركسية-اللينينية تطلق على الاتجاه الفلسفي الذي تبناه الحزب الشيوعي الحاكم في الاتحاد السوفييتي لعقود متعاقبة.

- نظرية الامبريالية

تعتبر كتابات لينين النقدية حول الإمبريالية امتدادا للفلسفة الماركسية حول تطور النظام الرأسمالي، وفي نفس الوقت هي عبارة عن مداخلات نظرية للرد

(في طليعتها إدوارد بيرنشتاين) التي كانت قد revisionistعلى التيارات التحريفية شككت في إدعاءات ماركس حول المسار التاريخي [الحتمي] للرأسمالية. وقد لاحظ لينين أن الرأسمالية تتجه نحو مرحلة تاريخية جديدة ولكنها لا تختلف في جوهرها عما وصفه ماركس، بل إنها تقوي وتدعم تصوره لسيرورة الرأسمالية نحو نهايتها. هذه المرحلة هي مرحلة الرأسمالية الاحتكارية/الإمبريالية، وهي بالنسبة له أعلى مراحل الرأسمالية .

لقد حاول لينين – على غرار ما فعله ماركس – وضع نظرية شاملة تكشف أسباب بروز الرأسمالية الاحتكارية والقوى والقوانين الداخلية المتحكمة في تطورها، وقد خلص إلى أن التنافس الرأسمالي قد وصل إلى مرحلة نوعية جديدة بقيام الاحتكارات، وتحولت المنافسة إلى منافسة دولية تتسبب في حروب "إمبريالية" خالقة – بذلك – أوضاعا مناسبة للثورة البروليتارية وبالتالي القضاء على النظام الرأسمالي.

من المفارقات التي تبعث على الفضول أن طلائع نظرية الإمبريالية جاءت من الاقتصادي الليبرالي الإنجليزي جون هوبسن. وقد دفعت به مسيرته المهنية في جنوب Boer إبان حرب الـ *The Manchester Guardian* كمراسل صحفي لـ إفريقيا إلى مناهضة الرأسمالية، لأنه كان شاهدا على دور محتكري الماس في

تغذية الحرب واستمراريتها. يرى أن المجتمعات الرأسمالية دائما تواجه معضلة "فيض الإنتاج وغيض الاستهلاك" ، ولو أن الرأسماليين عملوا على إعادة توزيع الثروة الناتجة عن فائض القيمة لتعزيز مستوى الرفاه المحلي لما كانت هناك مشكلة بنيوية في الأساس، غير أنهم في المقابل يعمدون إلى البحث عن إعادة استثمار رأس المال الفائض في الخارج، فتكون النتيجة هي الإمبريالية، التي يمكن تعريفها بأنها "سعي [الرأسماليين] الصناعيين لتوسيع قنوات الثروة الناتجة عن فائض القيمة من خلال البحث عن أسواق ومناطق استثمار خارجية [جديدة].."غير أن لينين يبقى أهم منظر للإمبريالية (جيمس دورتي وروبيرت بالتسغراف).

كان لينين في كتيبه النافذ الذي صدر عام الف وتسعمائة وسبعة عشر محافظا على خط تفكير كارل ماركس، الإسهام الذي أضافه يكمن في مسعاه لوضع الرأسمالية – من المنظور التحليلي – في سياق دولي أوسع نطاقا من السياق الذي تناوله ماركس، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى فقد أفضى به تأثره الشديد بإدراك ماركس للرأسمالية إلى ملاحظة أن التناقض في المصالح بين البروليتاريا والبورجوازية يبقى قائما بغض النظر عن الموقع الجغرافي للعامل أو الرأسمالي. وقد كان هذا التصور ترديدا لصدى العبارة الشهيرة التي أطلقها ماركس: "يا عمال العالم اتحدوا، فليس هناك ما تخسرونه سوى أصفادكم"، إذ

يصبح التضارب في المصالح بين عمال الدول على اختلافها أمرا غير وارد، هذا إذا تمكنوا من التحرر من قيود الأيديولوجيات البرجوازية المسيطرة محليا (جون بيليس ، 2004،ص 268) ، هذا بالنسبة للبروليتاريا؛ أما بالنسبة للبورجوازية، فقد لاحظ لينين أن الرأسمالية الاحتكارية تمكنت من إحداث بنية ثنائية المستوى ضمن الاقتصاد العالمي الحديث، حيث يوجد مركز مهيمن يستغل المجموعات الطرفية الموجودة على هامش البنية، هذه البنية مكنت البورجوازية في دول المركز من استعمال فوائض القيمة الناتجة عن استغلال الأطراف في تحسين ظروف البروليتاريا داخل دول المركز، وبذلك فقد أعاد لينين النظر في مقولة التناغم في مصالح العمال على صعيد عالمي(جون بيليس ، 2004،ص 268).

مما سبق، يمكن الخلوص إلى أن لينين هو أول منظر بنوي ينتبه إلى أن الانقسام البنيوي بين مركز النظام الرأسمالي وأطرافه هو الذي يحدد طبيعة العلاقة بين البورجوازية والبروليتارية. وهنا يمكن تسجيل ملاحظة على قدر من الأهمية في تحديد المنطلقات الأنطولوجية للماركسية الدولية، تتعلق بكون الدول لا تمثل الفاعلين الوحيدين في العلاقات الدولية، كما ذهبت إليه الواقعية والليبرالية على نحو أقل تشددا، بل هناك الطبقات الاجتماعية والمواقع التي تحتلها ضمن البنية الشاملة للنظام الرأسمالي العالمي، وهي (المواقع) التي من

شأنها تحديد نماذج التفاعل بين الوحدات الدولية وأنماط الهيمنة والسيطرة السائدة فيما بينها.

يبقى أن نشير إلى الأهمية الكبيرة التي تمتعت بها نظرية الإمبريالية ضمن الحوار الذي احتدم في فترة ما بين الحربين العالميتين حول الأسباب التي تفرز ظاهرة الحرب، وإن كان هذا الحوار أشبه بـ "الحوار الصامت نتيجة لكونه جمع بين المنظور الواقعي الكلاسيكي غربي/رأسمالي التمركز ومنظور الإمبريالية شرقي/ماركسي التمركز ، ولم تكن له انعكاسات واضحة على حقل التنظير لحقل النزاعات الدولية. ففي الوقت الذي ركز فيه المنظور الواقعي على الطبيعة الشريرة للإنسان والبنية الفوضوية للنظام الدولي، فقد جادل منظور الإمبريالية بأن الحروب هي نتاج النزوع المستمر للرأسمالية نحو التوسع بحثا عن أسواق خارجية جديدة وعن فضاءات أوسع وأخصب لاستثمار فوائض القيمة الناتجة عن استغلال المركز للأطراف، هذه النزعة تؤدي بالمراكز الرأسمالية المتنافسة إلى الصدام ببعضها البعض، وعندما لا تتوفر الآليات المناسبة للإجماع حول تقاسم مناطق النفوذ، يتم الحسم عسكريا من خلال الحروب.

- مدرسة التبعية (التيارات التقليدية)

تمثل نظرية التبعية قطيعة مع الافتراض (الذي دافع عنه ماركس، لينين وصولا إلى الشيوعيين المتشددين في أمريكا اللاتينية) القائل بأن الرأسمالية/الإمبريالية تؤدي إلى التصنيع الرأسمالي في الدول المتخلفة. فماركس كان يعتقد أن القوانين الداخلية تدفع بالرأسمالية إلى الانتشار المستمر على الصعيد العالمي، وفي إطار توسعها خارج أوروبا ستصطدم بالمجتمعات غير الأوروبية وتؤثر عليها إيجابيا، من خلال دورها التاريخي والثوري في القضاء على أنماط الإنتاج التقليدية المتخلفة. غير أن ما حدث تاريخيا هو أن الرأسمالية عند احتكاكها بالمجتمعات المتخلفة لم تقم كما توقع ماركس بتحطيم بنية الإنتاج التقليدية، وإنما عملت على ترسيخها وتحالفت مع قوى الإقطاع لخدمة أهداف الرأسمالية العالمية في امتصاص فوائض القيمة من المجتمعات المتخلفة إلى دول المركز. ويعتبر الاقتصادي الأمريكي بول باران [من الرواد الذين انتبهوا إلى كون] الرأسمالية الاحتكارية في أواسط القرن العشرين لم تعد تقوم بأي دور تقدمي، وبدلا من ذلك فقد قامت بإعاقة التصنيع في بقية العالم غير الرأسمالي، وذلك في سبيل المحافظة على الأرباح الاحتكارية في المركز الرأسمالي (محمد حمشي).

تاريخيا، ترتبط الإسهامات النظرية للتبعية بمنظرين أغلبهم لهم علاقة مباشرة باللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية ECLA، وهي لجنة أكاديمية عملت

تحت إشراف مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية خلال فترة الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي. وقد عكفت على السعي لإبراز الأسباب الحقيقية لتخلف دول أمريكا اللاتينية رغم مضي عقود طويلة على حصولها على الاستقلال، وهو الوضع الذي خيب توقعات وآمال الأطروحات الليبرالية حول التحديث وحتمية حدوث الإقلاع التنموي في المجتمعات المتخلفة على غرار ما حدث تاريخيا في المجتمعات المتقدمة. لذلك فقد حاول أعضاء هذه اللجنة وضع إجابات مقنعة عن الأسئلة التالية: بماذا يمكن تفسير الركود الاقتصادي والخلل [المزمن] في موازين المدفوعات وتراجع مستويات التجارة في دول العالم الثالث؟ ولماذا فشلت عملية نقل النموذج التنموي لأمريكا الشمالية وغرب أوروبا إلى بقية دول العالم؟(vioti,1999,p348)[10].

وتجدر الإشارة إلى غياب نظرية موحدة وشاملة للتبعية، فكل ما هنالك هو مجموعة من الأطروحات والمقولات المندرجة ضمن تيارات نظرية غير متناسقة، ورغم اتفاقها في التسليم بواقع حالة التبعية فهي تختلف في إيجاد إطار نظري واحد لتشخيص هذا الواقع، وهو ما دفع بجيمس دايتز إلى حد القول بأن عدد الأطر التصورية و[التيارات] النظرية في مدرسة التبعية يزيد على عدد المنظرين

والمساهمين في النقاش حول واقع التبعية، غير أن تيارات التبعية تتميز بكونها ذات نزعة توليفية/تركيبية electicism مما يضفي انطباعا بأنها مندمجة منهجيا لدرجة أنها تبدو نظرية واحد. ويبقى أننا نميز مجموعتين أساسيتين من التيارات المنظرة للتبعية، تيارات تقليدية، وتيارات جديدة.

ويأتي إسهام راؤول بريباش المدير التنفيذي للجنة "ايكلا" في مقدمة التيارات التقليدية لنظرية التبعية. وقد عمل على تطوير فكرة لينين عن علاقات الاستغلال بين المركز والمحيط، وذلك بتركيزه على علاقات التبادل التجاري غير المتكافئ بينهما. فالجديد في إسهام بريباش هو انتباهه لآلية التجارة الحرة على المستوى العالمي كآلية لتعطيل التنمية الصناعية في المحيط، حيث يتم تخصص دول المحيط في إنتاج المواد الأولية ثم مقايضتها بالمواد المصنعة في المركز (عبر آليات السوق العالمية الحرة)، والمشكلة بالنسبة لـ بريباش تكمن في كون معدلات التبادل التجاري تسيل بشكل معاكس للمنتجات الأولية مقارنة بالمواد المصنعة. ويتحدى الافتراض السائد للاقتصاد السياسي الليبرالي الذي مفاده أن جميع الاقتصاديات بإمكانها أن تستفيد نسبيا من إنتاج بعض المنتجات، وأنه من غير المهم تحديد نوع هذه المنتجات.

يمثل هذا التيار العديد من الباحثين، وهم يركزون في تحليلهم لعلاقات التبعية على لإبراز الخسائر المطلقة (لا النسبية كما يدعي الاقتصاد السياسي الكلاسيكي) التي تنطوي عليها العلاقات التجارية بين دول المركز ودول المحيط. وقد اقترح سياسة تصنيع إحلال الواردات التي تهدف إلى حماية وتطوير الصناعات المحلية لكي تسمح للمنتجين المحليين بتأمين الطلبات المحلية مع استيراد مواد التصنيع والتكنولوجيا وأقل كمية ممكنة من المنتجات المصنعة. على أن فشل هذه السياسات في إنجاز الإقلاع التنموي في الدول المتخلفة أدى إلى بروز تيارات جديدة داخل نظرية التبعية تضم جيلا من الماركسيين الجدد، أو ما يعرف بالبنيويين الجدد. تضم هذه التيارات: . (محمد حمشي)

Thestonio Dos Santos, Fernando Cardoso, A. Gunder Frank, Arghiri Emmanuel & samie Amin

-النظريات والمقتربات الماركسية الجديدة (البنيوية)

1- مدرسة التبعية (التيارات الجديدة)

تتهم التيارات البنيوية الجديدة ضمن مدرسة التبعية البنيويين التقليديين بأنهم إصلاحيون، لأن سياسات تصنيع إحلال الواردات تم تصميمها لتحسين موقع دول الجنوب ضمن اقتصاد العالم الرأسمالي، وعلى كونهم (البنيويين

التقليديين) يطمحون إلى القضاء على النظام الرأسمالي العالمي، فقد جادلوا بأن هذا الأمر لا يمكن حدوثه إلا بعد تطوير قوى الإنتاج في الأطراف بشكل كاف، لذلك شهدت أمريكا اللاتينية تدعيم الشيوعيات التقليدية للبرجوازية المحلية، وذلك لاعتقادهم بأن الثورة الاشتراكية لا تنجح بمعزل عن الثورة البرجوازية. أما بالنسبة للبنيويين الجدد فكانت جميع أجزاء الاقتصاد العالمي قد أصبحت رأسمالية بسبب إنتاجها للسوق الرأسمالية، وعليه فقد قاوموا الشيوعية الرسمية وقدموا بدلا من ذلك ولاءهم لحركات العصابات الريفية المتمردة، وكان الهدف هو قطع سلسلة الاستغلال التي ربطت سوية كلا من الميتروبولات في المركز والأطراف التابعة في النظام الرأسمالي العالمي، وهم يعتقدون أن نظام التجارة العالمي يعمل على نقل الموارد من الفقراء في الأطراف إلى الأغنياء من المركز وليست هناك إمكانية لإصلاح هذا النظام لفائدة دول الأطراف. (محمد حمشي)

التحول الآخر – والأهم من الناحية الأنطولوجية – هو أن تفكير البنيويين التقليديين كان دولتيا في الأساس، وعليه فقد ندد البنيويون الجدد بهذا التفكير، واحتجوا بكونه يعمل على إخفاء الصورة الصحيحة للاقتصاد السياسي [الدولي] الذي لا يعتبر في نهاية المطاف خاصا بالدول، وإنما بالطبقات، فالرأسماليون في كل

مكان [في كل دولة] يستغلون العمال أينما وجدوا، وما الرأسماليون في الأطراف إلى شركاء صغار لأمثالهم في المركز.

- نظرية النظام – العالم:

ترتبط نظرية النظام – العالم بإسهامات المنظر الأمريكي ووالرشتاين، غير أن كتابا آخرين يشاركونه إثراء هذه النظرية، من أبرزهم الكاتب الفرنسي Fernand Braudel في كتابه The Mediterranian and the Mediteranian World in the Age of Philip II 1975 .

بالنسبة إلى والرشتاين، يعتبر النظام – العالم وحدة التحليل الأساسية لدراسة سلوك الدول / المجتمعات. وينطوي هذا المفهوم على عنصرين أساسيين(بيليس ص275):

أولا) كون العناصر/المكونات التي تشكل هذا النظام مترابطة فيما بينها، وتربطها علاقة ديناميكية نشطة، بحيث لا يمكن فهم أدوار ووظائف وأنماط سلوك عنصر من العناصر إلى إذا تم فهم موقعه ضمن النظام الشامل الذي يتفاعل فيه. وعليه يرى ووالرشتاين أن محاولات الفصل بين العناصر المكونة للنظام الدولي، كالعناصر الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية تبقى محاولات مضللة لا تؤدي إلى نتائج ذات أهمية.

ثانيا) التفاعل الحاصل داخل النظام هو تفاعل ذاتي الاحتواء، بمعنى أن أنماط التفاعل ثابتة بغض النظر عن المؤثرات الخارجية، فإذا تم عزل النظام عن هذه المؤثرات فإن نتائج التفاعلات داخله تكون متطابقة تماما، وعليه فإن مسعى البحث يجب أن يركز على ديناميكيات التفاعل الداخلية بدلا من هدر الوقت في البحث في العوامل الخارجية.

والفرق الأساسي بين الإمبراطورية – العالم والاقتصاد – العالم يكمن في الكيفية التي يقرر بها توزيع الموارد (أي من يأخذ ماذا؟)، ففي نظام الإمبراطورية – العالم يقوم النظام السياسي المركزي باستخدام سلطته بإعادة توزيع الموارد بين الأطراف إلى المركز (من خلال دفع الضرائب مثلا، كما في حالة الإمبراطورية الرومانية)؛ أما في نظام الاقتصاد – العالم فلا توجد هناك سلطة مركزية بإمكانها تحقيق هذا الهدف، بل توجد هناك مجموعة من مراكز القوى المتنافسة فيما بينها، ويتم إعادة توزيع الموارد، ليس بموجب مرسوم مركزي، ولكن من خلال نوع من أنواع الوسيط، هو السوق. ورغم اختلاف آليات إعادة توزيع الموارد في النظامين، فإن الأثر الخالص يبقى نفسه، ألا وهو انتقال الموارد من المحيط نحو المركز. والنظام – العالم الحديث حسب هو مثال لنمط الاقتصاد – العالم، والذي نشأ في أوروبا مع مطلع القرن السادس عشر، ثم توسع عبر التاريخ ليضم

العالم بأسره. وقد شكلت الرأسمالية النشطة بدون توقف [كنمط إنتاج] القوة الدافعة وراء هذا التوسع. ويجادل ووالرشتاين أنه في سياق هذا النظام هناك مجموعة من المؤسسات تتوالد بشكل متواصل، ولا ينسحب ذلك على المؤسسات الاقتصادية فقط (كالشركات وحتى الصناعات...)، بل ينسحب ذلك على المؤسسات الدائمة والقائمة أصلا، كالوحدة الأسرية، الجماعات الإثنية والدول. ويجادل بأن هذه المؤسسات هي ذات طبيعة لازمنية، ولا واحدة منها تبقى على حال واحدة، وأن الادعاء خلاف ذلك يعني تبني موقف لاتاريخي، ومن ثم الفشل في فهم كيف أن خصائص المؤسسات الاجتماعية هي محددة تاريخيا. أبعد من ذلك، وهو أمر حاسم بشكل كبير، يجادل والرشتاين بأنه ليست فقط عناصر النظام هي التي تتغير، بل إن النظام في حد ذاته خاضع لحركة التاريخ، فهو ذو بداية، ومرحلة وسيطة، وستكون له نهايته(محمد حمشي).

الجديد في نظرية النظام – العالم هو تضمين وصفه للاقتصاد – العالم الحديث منطقة ثالثة إلى جانب منطقتي المركز والمحيط محل تركيز الماركسيين التقليديين، ألا وهي منطقة شبه المحيط ، وهي المنطقة الوسط بين المنطقتين السابقتين، وتلعب دورا حيويا في إشاعة الاستقرار في بنية النظام. ويؤكد والرشتاين على الترابط بين المناطق الثلاث في إطار علاقة استغلالية، يتم عبرها

امتصاص الثروة من المحيط نحو المركز؛ ونتيجة لذلك تترسخ أكثر فأكثر المواقع النسبية للمناطق، بحيث يصبح الأغنياء أشد ثراء والفقراء أشد فقرا، وإذا كانت هذه المناطق تشكل الأبعاد المكانية للنظام – العالم، فقد عمل والرشتاين على تضمين نظريته مجموعة من الأبعاد الزمانية، وذلك لتعميق فهمنا للديناميات التي تحكم تفاعلات النظام عبر الزمان. هذه الأبعاد هي: الإيقاعات الدورية ، الاتجاهات ، التناقضات ، والأزمة (محمد حمشي).

هناك إجماع بين منظري النظام – العالم بأن الاقتصاد – العالم الرأسمالي ونظام ما بين الدول مترابطان بحيث ينتج أحدهما الآخر، وفي نفس الوقت فإن كل واحد منهما ضروري وحيوي لوجود وبقاء الآخر، فالدول تلعب دورا أساسيا في تسهيل الآداء الناجح للاقتصاد الرأسمالي، وفي نفس الوقت تساهم في التقليص من حدة التناقضات التي تتولد بشكل مستمر وحتمي داخل الاقتصاد – العالم الرأسمالي، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى فإن من مصلحة الرأسماليين الفاعلين في البنية الراهنة للنظام – العالم أن تبقى الدول منتظمة في نظام ما بين الدول (المتكون من دول ذات سيادة تتنافس فيما بينها)، بحيث لا تتمتع دولة بمفردها بهيمنة كاملة على الدول الأخرى، وهو ما يمنع قيام بعض الدول بعرقلة نشاط الرأسماليين، لأن في ذلك إضرارا بدولهم. ومن طبيعة النظام

– العالم أنه يحول دون قيام دولة عالمية واحدة (التي ستكون حسب مفهوم الإمبراطورية – العالم) لأنه منتظم في بنية تنافسية بين الدول، إذ يؤدي التنافس الشديد بين الرأسماليات الدولية المتضاربة إلى تذبذب منتظم في درجة القوة النسبية لمختلف الدول ضمن النظام. وهكذا يصبح النظام – العالم ونظام ما بين الدول جزئين لا ينفصمان لكل واحد متكامل ، ويبقى أن نشير إلى تأكيد منظري نظرية النظام – العالم على العلاقة بين دول المركز، الهيمنة والقوة العسكرية. فدول المركز تتولى القيام بوظيفتين أساسيتين للحفاظ على استقرار بنية النظام، الأولى هي إيجاد دور قيادي نزاع إلى الهيمنة ضمن نظام ما بين الدول، وهنا قد تعمل القوة المهيمنة على فرض ممارسات أو مؤسسات معينة تمن البيئة المناسبة لتمكين التراكم الرأسمالي من المضي قدما بنجاح وعلى مدى النظام كله (نظام بريتون وودز كنموذج)؛ أما الوظيفة الثانية فهي استخدام القوة العسكرية لتصحيح الاختلالات وتأديب العناصر الرافضة للخضوع لقواعد اللعبة داخل النظام. وتاريخيا، لم تتوان دول المركز في التدخل عسكريا لضمان الاحتفاظ بقدرتها على الوصول إلى مصادر المواد الخام وإلى الأسواق الحيوية، كما استخدمت قوتها العسكرية لشل حركة دول المحيط وشبه المحيط التي اعتبرتها أنه تهديد لاستقرار النظام(جون بيليس، ص-293-289)..

- النظرية القرامشية:

نناقش في هذا المبحث الإسهام الذي أدلى به الكاتب الإيطالي انطوني غرامشي ، والذي أصبح ذا تأثير كبير على أدبيات الاقتصاد السياسي الدولي، حيث ظهرت ونمت ما يعرف بالنظرية القرامشية الجديدة أو ما يعرف بالمدرسة الإيطالية.

التساؤل الذي شكل محور اهتمام غرامشي في عمله النظري هو حول الأسباب التي تحول دون الانتقال نحو الاشتراكية في مجتمعات أوروبا الغربية، كما تنبأ به ماركس عندما أكد بأن الثورة ستحدث في المجتمعات الرأسمالية الأكثر نضجا. على أن الذي حدث تاريخيا هو أن الثورة البلشوفية حدثت في إحدى أكثر المجتمعات تخلفا (روسيا). لقد أدرك غرامشي وجود خلل في التحليل الكلاسيكي لماركس، ومن ثم أخذ على عاتقه عبء البحث عن هذا الخلل ومحاولة إصلاحه.

وقد جاءت إجابة من خلال استعماله لمفهوم الهيمنة ، وهو المصطلح الذي أصبح محورا للعديد من محاولات التنظير للعلاقات الدولية منذ المنتصف الثاني للقرن الماضي إلى اليوم. حيث أصبح يعبر عن الدولة الأكثر تأثيرا في النظام الدولي (الدولة المهيمنة) أو على الأقل في منطقة إستراتيجية معينة. ويرتبط مفهوم للهيمنة بإدراكه الموسع والأكثر عمقا لمفهوم القوة. حيث يتبنى نظرة ميكيافيللي للقوة على أنها أشبه بـ"القنطور "، الكائن الخرافي ذو النصف الأعلى الذي هو عبارة

عن إنسان والنصف الأدنى الذي هو عبارة عن حصان، فالقوة وفقا لهذه النظرة . فوفقا للإدراك الماركسي الكلاسيكي، يتم aعبارة عن مزيج من الإكراه والاسترضاء الحفاظ على النظام القائم حصريا من خلال الممارسات القهرية للدولة، تلك المؤسسة التي وصفها انجلز بأنها ليست إلا آلة اضطهاد في يد طبقة ضد أخرى، فالقهر وأحيانا الخوف من القهر هو ما يحول دون ثورة الطبقة/الأغلبية المضطهدة [بفتح الهاء] ضد نظام الاضطهاد الذي تمسك به الطبقة/الأقلية المضطهدة . وهنا يخلص إلى أن هذا التحليل مناسب للمجتمعات المتخلفة (مثل روسيا قبل الثورة)، ولكنه غير مناسب تماما للمجتمعات الأكثر تقدما في الغرب، حيث لا يتم الحفظ على سيرورة النظام فقط من خلال القهر، ولكن يتم كذلك من خلال الاسترضاء (محمد حمشي).

ومن خلال الهيمنة، حسب غرامشي، تسود القيم والأيديولوجيات الاجتماعية والسياسية والأخلاقية للطبقة المسيطرة/المهيمنة وتصبح غير قابلة للمساءلة من قبل الطبقات الأخرى، ويحدث هذا عبر مؤسسات المجتمع المدني التي تتمتع باستقلالية [زائفة عن الدولة]. ويعتبر أول من انتبه إلى العلاقة المرضية القائمة بين الدولة ومؤسسات المجتمع المدني، حيث أشار إلى كون هذه المؤسسات

تمثل الأداة الأساسية للقهر اللين الذي تمارس من خلاله الدولة وظيفة الاسترضاء للحفاظ على الوضع/النظام القائم.

لقد أحدث ثورة على الإدراك الماركسي للعلاقة بين البنية التحتية والبنية الفوقية للمجتمع، حيث بين كيف أنه في الوقت الذي تعكس فيه بنية المجتمع مجموع العلاقات الاجتماعية للإنتاج القابعة على المستوى الاقتصادي، فإن طبيعة العلاقات القابعة في البنية الفوقية هي ذات علاقة وطيدة بتحديد درجة تعرض المجتمع للتغير والتحول، أي هناك علاقة تأثير متبادل بين البنيتين. وقد اقترح فيما بعد مفهوما أساسيا لتوضيح دور هذه التبادلية في التأثير، هذا المفهوم هو الكتلة التاريخية والأيديولوجية ، والتي تشكل حاجزا بنيويا في وجه التغيير الاجتماعي، وأداة للحفاظ على نمط الهيمنة داخل المجتمع (سواء على المستوى المحلي أو على المستوى الدولي)؛ ويعبر الشق التاريخي في الكتلة عن البنية التحتية للمجتمع (علاقات الإنتاج)، في حين يعبر الشق الأيديولوجي عن البنية الفوقية (الأفكار والممارسات السياسية).

وقد عمل على إسقاط هذا المفهوم على استعصاء التحول في العلاقات بين الشمال والجنوب. حيث يرى أن هناك نوعا من الكتلة التاريخية بين الشمال والجنوب ، تتشكل فيها الطبقة الحاكمة من بعض الطبقات[/النخب] الحاكمة في

الدول الصناعية المتقدمة، والطبقات الحاكمة- أو ما أسماه بالبورجوازية المنظماتية في الدول التابعة في العالم الثالث والتي تحافظ على وضع جماعي للسيطرة داخل المجتمعات المتخلفة.(vioti,p347) -

4مقترب الإمبريالية الجديدة

ينطلق بيل وارن في كتابه من التصور الكلاسيكي لكارل ماركس حول الدور الإيجابي الذي تؤديه الرأسمالية في تسريع عملية التحول نحو الاشتراكية داخل المجتمعات المتخلفة، وعليه فقد جادل ماركس بأن القوى الاستعمارية عندما تنقل نمط الإنتاج الرأسمالي إلى المستعمرات فهي تقضي على أنماط الإنتاج المتخلفة داخلها، وبالتالي فهي توفر لها الشروط المناسبة للتحول، تماما كما حدث مع مرحلة التفسخ الإقطاعي في أوروبا. وبغض النظر عن المآسي الاجتماعية التي تصاحب انتشار الرأسمالية، فهي تبقى مرحلة ضرورية [ولا يمكن تجاوزها] من التقدم التاريخي نحو الاشتراكية.

وكما رأينا فقد جادل لينين بأن الرأسمالية الصناعية مع بداية القرن العشرين أصبحت لا تلعب نفس الدور التقدمي الذي تنبأ له ماركس، بل أصبحت تلعب دورا معيقا للتقدم التاريخي والاجتماعي داخل المستعمرات، وأصبحت تفعل ذلك من طريقين متوازيين: الطريق الأول يتمثل في إحجامها عن تطوير قوى الإنتاج

في المستعمرات في العالم الثالث، والطريق الثاني يتمثل في استخدامها لجزء من فائض القيمة الممتص من المستعمرات في القضاء على الإمكانيات الثورية للطبقة العاملة في الدول المتقدمة (وذلك بتحسين ظروفها الاجتماعية). وعليه فقد جادل لينين بأن الامبريالية تمثل المرحلة العليا والأخيرة من مراحل الرأسمالية، وهو المنظور الذي هيمن على تحليلات الاتجاه الماركسي طوال المنتصف الثاني من القرن العشرين.

في مرحلة لاحقة صدر كتاب للكاتب اليساري بيل وارن أين جادل بأن استنتاجات لينين لم تكن على قدر كبير من الصحة سواء من الناحية الإمبريقية أو من الناحية النظرية. وفي المقابل حاول إعادة الاعتبار للأطروحات الأرثوذكسية لكارل ماركس، مجادلا بأن الامبريالية الجديدة [في المنتصف الثاني من القرن العشرين] بقيت تلعب دورها التاريخي في المحيط بتطوير قوى ووسائل الإنتاج بشكل سريع من جهة، ومن جهة أخرى - وبشكل حاسم بالنسبة للانتقال مستقبلا نحو الاشتراكية – بتسهيل ظهور ونمو طبقة عاملة حضرية. وبذلك دعا إلى اعتبار الامبريالية على أنها ممهد الطريق نحو الرأسمالية أكثر من كونها المرحلة العليا من مراحلها. وقد قدم وارن قرائن إمبريقية لإثبات نظريته، فقام بفحص للتطور الذي لحق بالمستعمرات جراء الديناميكية الرأسمالية فيها، وذلك بالتأكيد على

ثلاثة أشكال رئيسية، هي: تحسين الرعاية الصحية، تحسين مستوى التعليم، وتحسين مستوى الحصول على السلع ذات الطابع الاستهلاكي. ورأى بأن هذه الأشكال كلها تساهم في بناء أسس متينة على المدى البعيد لتطوير قوى الإنتاج. ولاشك أن الاستنتاجات التي خلص إليها لا تقبع بشكل واضح تحت مظلة الاستنتاجات التقليدية للمنظرين الماركسيين [باستثناء كارل ماركس نفسه]، ولكنها تقوم على تحاليل تاريخية – اجتماعية - جدلية بشأن التطور الخطي لقوى الإنتاج والعلاقات الاجتماعية الناجمة عنها في المجتمعات المتخلفة التي تعرضت للاستعمار من طرف قوى رأسمالية. وبغض النظر عن كفاءتها في التنبؤ بمستقبل الصراع الطبقي في هذه المجتمعات، فإن الأهمية النظرية للإسهام الذي أدلى به Warren تكمن في عودته إلى تحاليل كارل ماركس ومحاولة إسقاطها على تطور الظاهرة الامبريالية في القرن العشرين.(محمد حمشي)

قائمة المراجع المعتمدة :

بالعربية:

1- ونت الكسندر، النظرية الاجتماعية للسياسة الدولية، ترجمة عبد الله جبر صالح العتيبي، (السعودية، جامعة الملك سعود، 2006).

2- فرج نور محمد، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية: دراسة نقدية مقارنة في ظل النظريات المعاصرة، (السليمانية، مركز كورديستان للدراسات الاستراتيجية، 2007)

3 - جندلي عبد الناصر،التنظير في العلاقات الدولية بين النظريات التفسيرية والاتجاهات التكوينية،(الجزائر، دار الخلدونية،ط1 ،2007)

4- بيليس (جون) و سميث (ستيف)، **عولمة السياسة العالمية**،

(دبي: مركز الخليج للأبحاث). 2004

5 -جيمس دورتي ، روبيرت بالستغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية.

6- محمد حمشي ، محاضرات حول الماركسية في العلاقات الدولية.

باللغات الاجنبية:

بالفرنسية:

1- - *Battistella Dario, **théories des relations internationales**, presse de la fondation Nationale des science politique, paris, 2003.*

2- - *Macleod Alex, Dan O'Meara, **theories des relations internationals: contestations et resistances**, editions Athena, Lepes, Canada, 2007.*

3- *HASBI Aziz, Théories des Relations Internationales, (France: l'harmattan, 2004). ROCHE Jean-Jacques, Théories des relations internationales, (Paris: Montchrestien, 4emeédition , 2001).*

بالانجليزية:

4- - *TICKNER J. Ann, «Feminism Meets International Relation: some methodological issues» in Brooke A. Ackerly and Maria Stern and Jacqui true (eds.) Feminist Methodologies for International Relations (Cambridge University Press, 2006)*

5- - *SMITH Steve and OWENS Patricia, «Alternative Approaches to International theory» in John Baylis and Steve Smith (eds.) The Globalization of World Politics: An*

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
رئيس المجلس العلمي
كلية الحقوق و العلوم السياسية

Introduction to International Relations (UK: Oxford University Press, 2ndedition, 2001).

6- *NEUFELD Mark A., The restructuring of International Relations theory, (Cambridge University Press, first edition, 1995).*

7- *kenneth waltz, theory of international politics,Addison-Westley Publishing Company,1979.*

8- *Robert Jackson and Georg Sorensen, introduction to international relations,Oxford university press,1999.*

9- *- BUZAN Barry, «The timeless wisdom of realism?», In Steve Smith and Ken Booth and Marysia Zalewski (eds), International theory: positivism and beyond (UK: Cambridge University Press, 1996).*

10- *- Viotti (Paul) R. & Kauppi (Mark V.),* ***International Relations Theory: Realism, Pluralism, Globalism, and Beyond*** *(USA: Allyn & Bacon, 3rd Edition, 1999)*